

# تنزيه الذين وحملته ورجال مما افتراه القصص في اخلاله

تأليف العلامة المفضل

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعد

علامة القصص حفظه الله آمين

طبع على نفقة

محمد نصيف بجده - الحجاز

---

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية  
لاصحابها عيسى السباوي الحسيني وشركاه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم  
تسليماً كثيراً .

(أما بعد ) فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماه (هاذي  
هي الأغلال ) فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية إلى نبذهِ والانحلال عنه من كل  
وجه وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والأخيار  
لذهب السلف الصالح وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق والرد على المبتدعين  
والملاحدين فصار له بذلك عند الناس مقام وسمة حسنة فلم يزعج الناس في هذا العام  
حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً  
وبعد ما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق ، انقلب في كتابه هذا من  
أعظم المنايذين له ، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة لسوابقه ولسنا بصدد  
التعرض للأسباب التي دعت له لكتابة هذا الكتاب ، وكثير من الناس يظنون به  
الظنون التي تدل عليها القرائن وليست بعيدة من الصواب لظن بعضهم أنه ارتشى من  
بعض جهات الدعاية الأجنبية للأدينية ، ولكن لما كتب هذا الكتاب وطبعه  
ونشره بين الناس وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام ، بله غيره من الديانات والمبادئ  
الحقيقية فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين وجب على كل من عنده علم أن يبين  
ما يحتوي عليه كتابه من الهطائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه حيث كان



التي لم يزل أهل العلم يقولونها ويبدونها من الخث على تعلم العلوم وفنون الصنائع النافعة  
وما فيه من ذم الجهل وآثاره الضارة وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية  
وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة، فقد ذكر أهل العلم من هذه الأمور  
أكثر مما ذكر هذا الرجل ولم يبين ما بينوه ولا تشرح الداء الذي أصاب المسلمين  
حقيقة ولا كيفية الدواء.

والقصود أن ما في كتابه من الحقائق لم يكن أول من قالها بل لم يزل أهل المعرفة  
يقولون ما هو أمم منها وإنما النكر القطيع والطائفة الكبرى تروى به هذه الأمور على  
من لم يعرف الحقائق وجعلها له كالأساس الذي يحمل منه على الدين وأهله الجملات  
النكرة المتكررة.

## مقدمة ونظرة إجمالية

في محتويات ومواضيع هذا الكتاب

من نظر فيه وتأمله بحق تأمله عرف أنه ما كتب أشد وطأة وأعظم عداوة ومحاربة للدين الإسلامي ومنفراً منه وأنه ما اجترأ أحد من الأجانب وغيرهم بمثل ما اجترأ عليه هذا الرجل ولا افترى مفتر على الدين كافترائه ولا حرّف أحد له نظير تحريفاته، وما صرح أحد بالوقاحة والاستهزاء والسخرية بالدين وأصوله وتعاليمه وأخلاقه وآدابه وحملته كاستهزائه وسخريته فإنه اشتمل على نبذ الدين ومنابدته ومناقضته ثلاثة لا تبقى من الشر شيئاً إلا تضمنته فإنه صريح في الانحلال عن الدين بالكلية وخروج تام عن عقائده وأصوله فضلاً عن فروعه وهو أكبر دعاية للحاد . ومقاومة للدين وأهله وفيه من الهرجة والتزويرات التي جعلها في صورة نصر الدين ما يعد من أعظم النفاق والكيد والمكر للإسلام وأهله ( ولا يحقيق المكر السيئ إلا بأهله ) .

وجملة ذلك أنه تلقى عن جميع أعداء الدين ما وجهوه إلى الدين وإلى أهله من جميع ألوان الشبه التي تدعو إلى الكفر والتكذيب بالدين وزاد عليهم زيادات واستدراك أموراً لم يصلوا إليها فإن النافين للبارى الجاحدين له كزنادقة الدهرية وفرعون وأشباهه الذين صرحوا بمحذ رب العالمين بالكلية وتكذيب رسله جهراً وعلناً ثم أظهره زنادقة الاتحاديين بأسلوب آخر وهو أن الوجود كله واجبه وممكنه واحداً بلعين فلا ثم رب ولا مربوب ولا خالق ولا مخلوق الجميع شيء واحد، ثم أظهره هذا الكاتب صاحب كتاب الأغلل بأسلوب أشنع من ذلك كله حيث زعم أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق وأن من فرق بينهما من الأنبياء والرسل وأهل الأديان فهو غلط ضال عنده . أعداء الرسول تنوعوا في تكذيبه فقالوا ساحر وشاعر وقالوا مفتر كذاب . وزنادقة الفلاسفة قالوا إن الرسل

كذبوا لمصلحة الناس وخيلوا للناس تحييلات خالية من الحقائق . وهذا صاحب الأغلال جاء بوجه آخر حيث حلل زعمه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ذلك التحليل الخبيث الباطل بأنه ينحو بالطبيعة ويناجيها وتأخذ بلبه وعقله ويظل ليله ونهاره نازعا إليها وقد افتتح بها رسالته بخلوته بها ومناجاتها في غار حراء وختمها به حيث كان ينزع إليها وهو في سياق الموت ، ويقول في الرقيق الأعلى فهذا التحليل الخبيث الذي لا يروج على الصبيان قد أخذه بعينه من دعاة النصارى ومضليلهم إذ قالوا هذا القول الذي هو التكذيب المحض فعند صاحب الأغلال ليس ثمَّ وحى ولا مناجاة لله ولا نزول جبريل بالوحى من عند الله وإنما ذلك خيال لاحقيقة فظن بجهله أنه بهذا الكلام الموهى سلم من الشناعة .

أعداء الرسل من الدهريين قالوا : ( ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ) وهذا القصيمي يقول : ما هي إلا الطبيعة تتفاعل وتتطور وتدير أمر العالم وتديره وتنظم الأمور الخلية والدقيقة وأنكر قضاء الله وقدره ورجع ذلك إلى العلم بانتظام الطبيعة وهذا إنكار منه لله ولأفعاله ولصفاته . وكما أنكر توحيد الربوبية فقد أنكر توحيد الإلهية والعبادة ولم يرتض بما قاله المشركون بل أنكر عبادة الله بالكلية وأنكر الافتقار إليه وتهكم بالمفتقرين إلى ربهم الداعين لله المخلصين لربهم وملاً كتابه من السخرية بهم ، وكما أنكر الربوبية والإلهية والرسالة إذ فسرهما بذلك التفسير الخبيث الذي يرجع إلى نفى الرسالة فقد أنكر عقوبات الله ومشوباته الدنيوية والأخروية وأنكر أسبابها وسخر بالمؤمنين بها . وكذلك رمى جميع طبقات الأمة وخص منهم العلماء الأعلام وهداة الأنام بضعف العلم والعقل والرأى وأوجب الكفر بهم وبعلمهم وبما قالوه وصنفوه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول والفروع وجعلهم محرمين يستحقون العقوبة وأهدر فضايلهم بالكلية ، وأكبر من ذلك وأطم أنه باهت وصرح بتحقير الأنبياء تحقيراً لم يصل إليه ملحد إذ صرح بأن جميع الرسل

والأنبياء والهداة من أتباعهم لم ينفعوا الناس في الحياة بشيء من النفع ولم يقدرُوا أن يصيروا فيها مخلوقات متألقة لهم فضائل يهتدى بها وكأرمي الأنبياء وأهل الأديان الصحيحة كلهم ولم يستثن منهم أحداً فإنه عظم زخافة الملحدِين الأولين منهم والآخرين وأوجب الأخذ عنهم والخذو على منوالهم، وحتم نبذ القديم الذي في مقدمته السكتة والسنة وما عليه الصحابة والتابعون وأوجب أن تتخذ ثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها الدين الصحيح ويكفر به ويحملته ويمتد أن الصحابة في طور الأطفال أو طور قريب من طور الحيوانات السذج وأنهم لا يعلمون الأمور على حقيقتها وإنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا. وإنما العلم والفضل منحصر عنده في الأجانب الأفرنج. وسلك مسلك الإباحين في التهمك والإباحة وكذب ما جاء في الكتب وعلى السنة الرسل من قصة آدم وزوجه وذريته فزعم أن الإنسان الأول مخلوق شبيه بالحيوان لا يقدر على النطق ولا التخاطب بوجه من الوجوه، ثم انتقل إلى طور الإشارات في مدد طويلة ثم بعد مدد طويلة جداً تدرج شيئاً فشيئاً حتى انتقل إلى طور التخاطب بالألفاظ المهمة الساذجة. وكذب ما جاءت به الرسل أن الله علم آدم الأسماء كلها وأسجد له ملائكته، واتبع سفهاء الخرافيين وكذب جميع النصوص من الكتاب والسنة الواردة في الترهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وفي فضل الصبر على المصائب وثواب أهلها واستهزاء بها وبأهلها وملاً كتابه من السخریات والاستهزاءات وكل هذه الحقائق وما هو أكثر منها قد تضمنها كتابه المذكور كما سنشير إليها مفصلة مشارا إلى صفحاتها من كتابه المذكور.



## فصل

ولما كان هذا الكتاب موجهاً إلى قلب الدين وروحه وإلى هدم علومه وأصوله وقواعده وجميع مقوماته، وكان هذا الدين العظيم بذاته وحقيقته واشتماله على أعظم الحقائق وأجلها وأنعمها وعلى البراهين الساطعة والأنوار الثلاثة يدفع ويبطل كل ما يقوم في وجهه من الشبهات ويقاومه من الأقوال الباطلة أحببت أن أشير إشارة لطيفة قبل إبطال قول هذا الكتاب إلى بعض محاسن هذا الدين وأنه لا سبيل لأحد من الخلق أن يبطل شيئاً من أصوله وقواعده وأساسه ، وأن بهذا الدين العظيم تزول السموات والأرض والجال والباطل وأصوله وأساسات وقواعده ثابتات وأنواره مشرقة وبراهينه للبطل محرقة، فهو الميزان الأعظم الذي توزن به الأمور الدينية والأمور العقلية والأمور الدنيوية، وأين عند ذلك منافاتها لقول هذا الكاتب . وهذا الرجل لا بد قد شعر أن الناس لا يشكون ولا يمترون في منافاة كتابه وأقواله للدين فتراه في مطاوي كتابه يعتذر ويدعى أن مؤلفه قد ورد عليه من الإطجاد . أفيظن أن الناس يقيمون لاعتذاره وزناً ، وكيف تقع اعتذاراته الطفيفة التافهة في جانب حملاته الشديدة على الدين والحث البليغ على بذه وعلى سلوك طريق المحدثين . كيف يقبل اعتذار من هو مجد مجتهد في هذه المواضيع الغريبة الباطلة فهل هذا إلا من باب السخوية والتمويه على الأغرار ، ونحن نكتب ما يجب علينا كتابته من رد اعتدائه على الدين والتنبية على بطلانها كما هو الواجب المتعين على كل مسلم ، ونرجو الله أن يعيده إلى الحق بالنبوة والتوصل وتقض ما كلفه واجترأ عليه . (واعلم) أن مدار ما يبنى عليه بحجته الباطلة واحتج لها ويرهن عليها وردها أمران (أحدهما) أن المسلمين في هذه الأوقات الأخيرة متأخرون عن الأمم في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات الراقية وعلوم الطبيعة بأنواعها . (والثاني) أن غيرهم ماهر في هذه الأمور مهارة لا تتصورها الأفكار، ثم يبنى على هذين

الأمرين جميع بحوثه الباطلة ورتب على ذلك أنه يجب رفض ما عليه المسلمون من عقائد وأخلاق وعلوم وأعمال ، وقرر في كتابه أن الدين الإسلامي أغلال وقيود تقيد الإنسانية عن التقدم والارتقاء في درج الكمال، وفي مقابلة ذلك حث ورحب بكل ما أتى به الآخرون من مفلسد وعقائد وأخلاق وأعمال وخير وشر وقرر أن هذا هو المفسد والفلاح وبدء النجاح . وكتابه كله يدور على هذا الأصل الذي يعرف كل من له أدنى بصيرة أنه بنيان على شفا جرف هار وأن أقل نظر يوجه إليه وأقل برهان يقابله يبطله وأن هذا الاستدلال هو بالترهات والبهرجات أولى منه بالحقائق الثابتة ؛ فإذا تبين بطلان أصله الذي بنى عليه جميع بحوث كتابه بطل كل ما بنى عليه ، فنشير هنا إلى هذا ثم نتبع ما اشتمل عليه كتابه من المواضيع الفاسدة ( فنقول ) : الدين الإسلامي هو دين العدل والرحمة والعلم والحكمة وهو دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح وصلاح الدين والدنيا ، وعلى السعى إلى الكمال والرقى في معارج السعادة والفلاح وهو الدين الذي حث على كل خير ونفع وصلاح وإصلاح وهو الدين الذي ساوى بين طبقات الخلق في القيام بالعدل والحقوق فلم يبيح الظلم يوجه من الوجوه فالغنى والفقر والشريف والوضيع والقوى والضعيف والعزیز والدليل كلهم عنده سواء قد شملهم عدله ورحمته وهو الدين الذي يحث على القيام بما خلق الله الخلق لأجله وهو عبادة الله وحده والانابة إليه والتعبد له ظاهراً وباطناً ودوام الافتقار إليه ، وهو الدين الذي يأمر بجميع معالى الأخلاق ومحاسنها وينهى عن جميع مساوئها وأراذلها ، وهو الدين الذي تصلح به الأحوال فكما حث على القيام بإصلاح الدين فقد حث على القيام بمصالح الدنيا النافعة وكما أمر بتعلم العلوم والفنون التي ترجع إلى الانابة إلى الله وعبوديته فقد حث على تعلم العلوم والفنون التي تعين على قيام حياة الأمة وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى ومغالبتها والوقاية من شرورها وأضرارها ، وكما أمر بتعلم علوم التوحيد والمقائد والأخلاق التي ترجع إلى صلاح القلوب والأرواح فقد أمر

بالتعلم والتفقه في الأحكام التي ترجع إلى القيام بالعبادات الظاهرة والمعاملة العادلة والقيام  
 بجميع الحقوق المتنوعة على وجه الوفاء والعدل وموافقة الحكمة وكذلك أمر بتعلم  
 الفنون الحربية والآداب العسكرية ، والاستعدادات السياسية والصناعات النافعة فقال  
 ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) وهذا  
 شامل لكل ما يتعلق بالاستطاعة من أنواع العلوم والفنون العسكرية الموجودة في  
 وقت التنزيل والتي تحدث إلى يوم القيامة من قوة عقلية وسياسية داخلية وخارجية  
 وصناعات نافعة وتعلم رعي وركوب وسائر الفنون التي لا تتم مقاومة الأعداء إلا بها ،  
 وقال ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ) فأمر المؤمنين بأخذ حذرهم  
 من عدوهم وهو التوقي والوقاية والاحتماء من عدوان الأعداء بكل وسيلة وسبب تحصل  
 به الوقاية من شرهم ومكائدهم وأسلحتهم ومداخلهم ومخارجهم وذلك يختلف باختلاف  
 الأحوال والأزمان . وكل آية أو حديث فيه الأمر بالجهاد والحث عليه فانه يدخل فيه  
 القيام بجميع الشؤون التي تعين على الجهاد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأزمنة  
 والأسباب وهذا على البراهين على أن هذا الدين والشريعة تنزيل من حكيم حميد عليم  
 بكل شيء فإن إرشاداته العالية كما ترى تصلح لكل زمان ومحل بل لا تصلح الأمور  
 إلا بها . وكأنه أمر بالاستعداد بالقوة المادية فقد أمر بالاستعداد بالقوة المعنوية حيث أمر  
 الناس وحهم على الاجتماع والالفة بين المسلمين والاتفاق على جميع مصالحهم الكلية  
 كما أمر بذلك في المصالح الجزئية في كل ما يأتون وما يذرون في أحوالهم الداخلية  
 وأحوالهم الخارجية ، وأمرهم بالإيمان الكامل والتوكل القوي على الله وتمرير النفوس على  
 القوة والشجاعة والتدرب في كل أمر نافع في الدين والدنيا ؛ فالدين يحثهم على القيام  
 بجميع الأسباب النافعة التي تصل إليها قواهم واستطاعتهم وعلى التوكل على سبب  
 الأسباب وخالقها ومديرها ، وبين لهم أن الأمرين متلازمان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر  
 فالأسباب وإن عظمت وقويت فإنها محكومة بقضاء الله وقدره ولا يتم للقيام بهذا أمره

من كل وجه إلا بتوكله واعتماده على الله تعالى مسبها ومصرفها والقاibus على ناصيتها وأزمتها، ويخبركم الدين مع ذلك أن التوكل وحده بدون فعل الأسباب وبدون القيام بالمقدور من الشئون الدينية والدنيوية ليس بتوكل حقيق بل هو ضعف وعجز، فكما قوى توكل المسلمين على ربهم قوى أعمالهم النافعة وقوى همهم، وانبعثت عزائمهم إلى جميع مصالحهم، والرب تعالى لقيامهم بالأمرين وتحقيقهم للتوكل عليه واجتهادهم في فعل الأسباب يعينهم ويسر لهم أمورهم ويحقق لهم رجاءهم وينزل عليهم من نصره ومعونته وتأنيده بحسب قيامهم بالأمرين. والنصوص من الكتاب والسنة تحث على الأمر بالتوكل على الله في كل الأمور، والأوامر بالأخذ بجميع الأسباب النافعة لا تنحصر بل الدين كله قيام بالأسباب وتوكل على مسبها ومصرفها: وهذا الذي نهينا عليه من الدين الإسلامي هو من الكمال الذي لا يقاربه كمال، ويسقط به ويضمحل قول هذا الكاتب الذي يقول إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل على الله يوهن المسلمين ويضعفهم وأنه يجب عليهم ترك ذلك وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٢٩) و (٢٦٨) و (٣١٥) من كتابه، ويتضح بذلك أن المسلمين حقيقة المتبعين لإرشادات دينهم وتعاليمهم المتوكلون على الله حقيقة وأنهم أقوى الخلق على فعل الأسباب امتثالاً لأمر ربهم وطلباً لمصالحهم واستعداداً من قوته وارتقاباً لثوابه، وأن الدين الإسلامي يبطل الطريقتين الذميتين: طريق العجز والضعف الذي يتعلل صاحبه أنه متوكل على الله وإنما هو مهين ساقط الهمة معتذر بما لا يعذر به، وطريق الملاحدين المعطلين الذين يعتمدون على الأسباب ويرونها مستقلة منقطعة عن قضاء الله وقدره وأن الله لا يتصرف في الأسباب عندهم بإيجاد ولا تقوية ولا إضعاف ولا بمنعها ولا له قدرة على معارضتها كما قرره صاحب هذا الكتاب في ثنايا كتابه خصوصاً في الفصل الأخير المعنون بمشكلة لم تحل، وهذا هو التعطيل المحض والنفي لربوبية الله ولأفعاله، وهو في الحقيقة مذهب الدهريين الطبايعيين الجاحدين لله

بالكلية، وقد سلك أيضاً مسلك الدهريين في هذا الذين يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا  
 نموت وننحيا، المنكرين للثواب والعقاب حيث أنكر أن الإيمان والتقوى والعمل الصالح  
 سبب للثواب العاجل والآجل وأن الكفر والفسوق والعصيان أسباب للعقوبات العاجلة  
 والآجلة، وتهكم بذلك وبها تاللين به المعتقدين له كما صرح به وردده في الصفحات  
 (٣٥) و (١٦٥) و (١٧٨) و (٣١٥) و (٣١٩) و (٣٢٥) والسبب الوحيد عنده في  
 المصائب الدنيوية وضدها إنما هي الأسباب المادية فقط وعمل الطبيعة. ثم لم يزل يقرر  
 هذا الأصل الحديث حتى زعم أن الإيمان بالله وباليوم الآخر يمنع الرقى ويمنع كون العبد  
 سيئاً مستحقاً بأعماله وأنه غل ورباط يمنع من الخير والصلاح وأن الأديان السماوية  
 أكبر المصائب على البشر. وقول وصل إلى هذا الحد ليس بعده تقدم إلى الكفر وإنما  
 هو النهاية في الكفر والتعطيل والجحود لرب العالمين والخروج من الديانات السماوية  
 كلها وهو غاية الخروج من العقل والحس، فإن قضية الإيمان بالله ورسوله هي أكبر  
 القضايا وأعظمها وأوضحها وأجلها براهين وأدلة وإثبات أنه هو الفعال لما يريد الخالق  
 لكل شيء الذي يدبر الأمور كلها ويكرم الطائعين ويعاقب العاصين فلا ينكر ذلك  
 إلا مكابر مباهت منحل من العقل الحقيقي بعد انحلاله من الدين، والمقصود أن صاحب  
 الدين الصحيح هو أقوى الناس توكلًا على الله تعالى وعملاً بالأسباب النافعة لأنه يعلم  
 أن دينه يحثه على ذلك وقد استصحب التوكل على الله والثقة به وأن الله لا بد أن يتم  
 أمره وخصوصاً الأسباب الدينية والأسباب المعينة على الدين فأنها من الدين في الحقيقة  
 لأن الدين هو جميع ما دل عليه الكتاب والسنة مطابقة والتزاماً وتضمناً، فهذا الدين  
 لم يدع خيراً إلا دعا إليه ولا منفعة إلا نحت عليها ولا طريقاً يوصل إلى إصلاح الأحوال  
 الدينية والدنيوية النافعة إلا رغب فيه، ولا مفسدة وشرراً إلا حذر منه، وأمر  
 بأخذ الوسائل الواقية والدافعة له، فياوح هذا الكاتب القصيمي الذي زعم هذا الزعم  
 الباطل أنه مانع من التقدم والرقى ومجاعة الأمم الراقية في الحياة. وهل رقت هذه الأمم

وسبقت غيرها في الاختراعات والفنون الصناعية المدهشة إلا بعد ما أدخلت عليها تعليمات هذا الدين<sup>(١)</sup> واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين بعد الحروب الصليبية وغيرها . ألم يكونوا في غابر الزمان والقرون التي يسمونها القرون المظلمة في غاية الجهل والوحشية والهمجية في معرفة هذه الفنون والصناعات . ألم يكن المسلمون وقت قيامهم الحقيقي بهذا الدين هم سادات الخلق الذين قهروا بفضل دينهم وأخلاقه وتعاليمه العالية جميع الأمم وحطموها وأفنوا صروح أكبر دول الأرض يومئذ . ألم تكن مدينة الدين الإسلامي هي المدينة الزاهرة الحقيقية حيث كان روحها الدين والعدل والرحمة والحكمة . وقد شملت بظلمها الظليل وإحسانها المتدفق الموافق والمخالف والعدو والصديق . أخرهم دينهم ومنعمهم الرقي الحقيقي ؟ ، وهل نفع الآخرين كفرهم بالله وبربوبيته وإلهيته في تلك القرون الطويلة إذ كانوا هم الأذلين المخذولين في مواقف الحياة كما زعم هذا الكاتب الذي يهرج على من لا يعرف الحقائق . ثم لما ترك المسلمون الاستمساك بتعاليم دينهم وتفرقوا شيعاً ، وارتقى الأجانب في علوم المائدة وفنون الصناعات والاختراعات ووصلوا إلى أمر لم يسبق له مثيل فهل أغنت عنهم هذه المدنية وهذا الرقي ، وهل وقهم الشرور إذ كانت مدنيّتهم مبنية على الظلم والجشع والطمع المفرط وطلب استعباد الخلق ولم يكن معها من روح الدين ورحمته شيء . فهل ردت عنهم هذه الملاحم والحجاز

---

(١) يريد الشيخ حرية الفكر وعدم التقليد، والخروج على سلطة الظلم الكنسية والزمنية وحرية البحث، إلى ما استفادوه من المسلمين أيام الحروب الصليبية وبمدها ، وكذلك في أيام الأندلس الزاهرة .

قال فلا مريون الفلكي الأمريكي : قد استولت الكنيسة ستة قرون فلم تنجب فلكياً واحداً ، وقد أنجب الإسلام - في قرنين الكثير من علماء الفلك والطب والطبيعة والكيمياء . نقله الأستاذ الإمام في رسالته : «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» .

البشرية والاهلاك والتدمير الذي لم يسبق له نظير ولا مقارب في تاريخ الخليقة . وهذا من أكبر البراهين على أن الرق في هذه الحياة إذا خلا عن الدين الحق صار ضرره أكبر من نفعه وشره أكثر من خيره إذا كان فيه خير كما زعمه هذا الكاتب . فلو كانت هذه الأمم الراقية في الفنون العصرية معهم من صحيح وبنوا حضارتهم على الرحمة والعدل والحق والتسوية بين الخلق وبين الأمم القوية والأمم الضعيفة في الحقوق فساظنك أن تصل بهم هذه الحضارة وما ظنك بما ينكف بها من الشرور العظيمة التي جرت وهي جارية وستجري ما داموا على حالهم .

أما تأخر المسلمين الآن في الفنون العصرية والاختراعات والصناعات وأشباهاها فليس هذا التأخر منسوباً إلى دينهم ، فليس في دين الإسلام أصل من الأصول أوفرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه ، وإنما الأمر بالنكس كما تقدم التبيين عليه بأن الدين الإسلامي قد جمع بين المصالح الدينية والدينية وحث على جميع النافع وعلى الأعمال النافعة والعلوم النافعة عكس ما رماء به هذا الكاتب من الجود والتأخر ومنافاة الحضارة والتقدم وخدمة الحياة بزعمه ، وإنما السبب الوحيد الذي أخرهم في هذه الفنون هو ترك الاستمساك بروح الدين ومقوماته وترك الأخذ بما يحث عليه من الاجتماع والاتلاف واتفاق الكلمة ، والتشاور في الأمور كلها ، وترك الأغراض الشخصية للمصالح الكلية ، وتركهم الجهاد القولي والبدني والمالي وهو مقاومة الأعداء بكل وسيلة تناسب الزمان والمكان بحسب الاستطاعة . فالدين يحث على الأخذ التام بهذه الأمور التي لا قوام للأمم بدونها وهم كسلوا وغفلوا عنها علماً وعملاً وأهلوا مصالحهم ومالوا إلى الترف والدعة والرضوخ والاستعانة للأجانب فلما رآهم الأجانب بهذه الحالة المؤلمة لعبت بهم سياستهم وفككتهم وفرقتهم زيادة على ما اتصفوا به من التنافر والاختلاف ، وعلى ما زهدوا فيه من الجهاد ومقاومة الأعداء ، واستعبدوهم بكل حيلة وحلوا مهنوتهم وروحهم الدينية وصاروا يضربون بعضهم ببعض ويقيمون لهم من جثثهم ومن بني

قومهم ممن يتسمى بالإسلام من يقيم الذعابات الباطلة في تزويدهم من هذه الحال الحرجة  
وممن يفت في أعضادهم ويخذر أعصابهم ويسعى بكل مقدوره في تأييدهم من التقدم  
وفي إمانته همهم كما ترى هذا الكاتب الذي توسل باسم الدين والغيرة على المسلمين ،  
وسعى في نبذ الدين ومحاربته بهذه الطريقة التي أربت على طرق المناقنين . وزعم من  
بهرجته التي لا تروج على أحد أن المسلمين على اختلاف طبقاتهم من الصحابة والتابعين  
والقرون المفضلة وأصناف المحدثين والمفسرين والفقهاء والأصوليين وسائر طبقات الأمة  
كلهم زعم أنهم لم يفهموا الدين وأنه مستحيل أن يسعوا في مصالحهم ، وغير ممكن لهم  
ذلك إلا بنبذه وأنه قيود تمنع التقدم كما صرح بذلك في صفحات (١٧) و (٣٦)  
و (٦٨) و (٦٧) و (٧٧) و (٩٧) و (١٤٠) و (٣١٥) من كتابه ، وهذه دسيسة  
خبيثة ، فإن كل أحد عنده أدنى تمييز يعلم حق العلم أن هذه الباحث التي اشتمل عليها  
كتابه منافية للدين بالكلية ومناقضة له من كل وجه ولكنه جاء بهذه الوسيلة ليقول  
المفترون ليس دين الإسلام ما فهمه المسلمون والأئمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وإنما  
هو شيء آخر مجهول عندهم ، وقد علمه هذا الكاتب وهو ما أرادوه وسعى إليه من مناقرة  
دين الملحدين ورفض دين المسلمين وسائر المرسلين .

ثم إن هذا الكاتب لم يكفه أن يقدر في هؤلاء التأخرين من المسلمين بل وصلت  
به الحال إلى أن قدح في خير القرون وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الدين  
والهدي حيث زعم أنهم لم يفهموا من دينهم وكتاب ربهم وستة نبيهم إلا ظاهراً من  
الحياة الدنيا وأن معارفهم وعلومهم النافعة كلها بالنسبة إلى معارف المستأخرين من  
الملحدين كنسبة معارف الأطفال إلى العقلاء الراشدين أو أقل من ذلك ، وحت غاية  
الحث على رفض مقالة هذه القرون المفضلة ، وأنه يجب تعليم الناس الكفر بهؤلاء  
الأئمة وبمعارفهم وفضائلهم وما قالوه وعملوه أو ورثوه ، وتهكم عن يدعو إلى الأخذ بما  
أخذ به الأولون وملاً كتابه من هذه المواضع الخبيثة والوقاحة والجرازة التي لم يرتكبها



غيره كما صرح به في صفحات (١٤) و (١٦) و (٢٩) و (٦١) و (٦٤) و (٦٦) و (٦٧) و (٦٩) و (٧٠) و (٨٥) و (١٢٠) و (١٤٠) و (١٧٠) و (٢٩٣) و (٢٩٦) و (٢٩٨) و (٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٨) و (٣١١) و (٣١٥) فياويحه ما أخطر  
 مسقطه وأقل حياته وهل يشك أحد أو يرتاب مسلم أو منصف ولو كان من غير المسلمين  
 أنه لم يوجد ولن يوجد أحد أكل علماً وفضلاً وأخلاقاً وعدلاً ورشداً وعقلاً وكلا في كل  
 الخصال الطالية من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنه ما وصل لأحد غيرهم خير وفضل  
 وعلم إلا على أيديهم. وقد كذب في كتابه هذا ما كتبه عنهم في كتبه السابقة ، وقد  
 شملت الأعم الأغلبية بكمال فضلهم وشمول رحمتهم وعدلهم . قال جوستاف لوبون  
 فياسوف فرنسا الشهير : ما عرف التاريخ فاتحاً أعذل ولا أرحم من العرب . وكانوا إذا  
 فتحوا البلدان وجرت عليها أحكامهم العادلة وشفقتهم على بني الإنسان امتلأت قلوب  
 الأجانب من محبتهم وتمنوا دوام ملكهم وسلطانهم واختاروهم على قومهم وأهل دينهم  
 مع أن النفوس مجبولة على التعصب لما ألفت من الأديان والأوطان والأنساب والمذاهب.  
 فلولا أنهم رأوا من رحمتهم وعدلهم ما لم يشاهدوا له نظيراً لم يخضعوا كل هذا الخضوع  
 وبعطوا ما بأيديهم مذعنين راغبين غير مقهورين على إرادتهم، فأنهم يجدون الفرض  
 الكثيرة لحدوث الثورات ، ولكن الرحمة والعادل من المسلمين أوجب لهم السكون  
 والطمأنينة لظل هذا الدين القويم. وهذا الكاتب يعلم حق العلم أنه كذب نفسه بنفسه  
 وأنه ناقض في كتابه هذا ما كتبه في كتبه السابقة ، ولهذا جعل يندب نفسه ويندم  
 ويتحسر ويتوجع على زمانه الماضي وكيف قضاء في عبادة الله ومتعلقاتها لأنه لا يجمل  
 أن الناس يعرفون منه هذه الحالة ، ولهذا كان الكلام معه في هذا الكتاب لا يشبه  
 الكلام مع اللبثيين من المسلمين الذين يعظمون الدين ويؤمنون بالله ورسوله ، وإنما  
 يشككهم مع الكلام مع الأجانب عن الدين والكافرين به ويناطرون كما يناطرون لأنه في  
 كتابه هذا كشف النظام وصرح بالمعظم الكبري النافية لدين الإسلام بالحكمة.

ثم إن هذا الكاتب يزعم أن تلك القرون المفضلة التي لم يشاهد الناس لها مثيلا في  
الجلال والجمال والكمال لم تبلغ رشدها بل هم في طور الطفولة ، وعنده أن الرشد  
والكمال الفضل منحصر في الماديين من المحدثين كما صرح به في تلك الصحائف  
آفة الذكر. والسبب الذي أداه إلى هذه المقالات الجائرة المنحرفة أن الفضل منحصر فقط  
في شيء واحد وهو عبادة الطبيعة ووجوب إعطائها القلب والقالب والظاهر والباطن ،  
والانصراف بالكلية إلى هذه الحياة فقط والتمتع بزهرتها والانحلال عن القيود الدينية  
وإباحة جميع ما تشبهه النفوس وإطلاق العنان لها . كما أطل في هذا الموضوع وردد  
فيه الكلام الساقط ثم في مقابلة ذلك التحامل على كل ما يعارض هذا الطريق والتسليم  
بالدين وحملته ، فإذا كان هذا هو الكمال عند هذا المنحرف لم يستغرب بعد هذا قدحه  
في خير العالمين وسخريته من علومهم وأخلاقهم وأعمالهم وما هم عليه في جميع الأحوال  
فصار منطبقا عليه وعلى أمثاله غاية الانطباق قوله تعالى : ( فلما جاءتهم رسلهم بالبينات  
فرجوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ) ولهذا ارتكب المظالم في  
تحليله لحياة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته الكريمة بكلام طويل مرزد  
كقوله كان يعبد الطبيعة وأنها قد أخذت بقلبه وقاله ولله وأنه كان يناجى الليل  
والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها مما يشاهد ، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة  
والخلوة بها في غار حراء ، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السياق حيث  
كان يقول في الرفيق الأعلى . وهذا بعينه قد أخذ من دعاة التصاري المقتريين الذين لما  
بهرهم ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق والتعاليم العالية والرقى الكامل  
والفتوح الباهرة والآثار التي لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق طفقوا يحذرون  
على الناس ويحللون حياته (ص) تحليل أحد رجال الطبيعة يعنى الذين لا يؤمنون بالله  
وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بله النار الآخرة وما وراء الحسوسات  
والملموسات فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل . ويرى

النبي صلى الله عليه وسلم بأنه طبيعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل من عند الله ولا كان يناجى الله ولا يعبد، ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط لأنه لا يعرف الله ولا يريده ولا يحبه ولا يطلبه عند هذا السكاب الذي تجرأ على أن يجترأ عليه من يسمى بالإسلام من الملحدين. ولا تستغرب هذا عليه فإنه سيأتى أنه صرح تصريحاً لا تردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم، وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه، فمن كانت هذه وقاحتها ونصرحت به فلا يستبعد عليه شيء. وظهر بهذا غرضه الوحيد وهو الدعاية البليغة إلى نيل الدين وأصوله ومحاربتها بكل طريق. ومن فضل الله أن طريقته في كتابه قد عرفها الناس وعرفوا ما ترى إليه من الغايات وعرفوا الأيدي المحركة لها، وأخذهم العجب الكبير كيف صار هذا الرجل بعد سوابقه فريسة لأعداء الدين وآلة لهم صماء في طريق مآربهم ومقاصدهم فسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد الهداية. والمقصود أن هذا الكتاب جعل الفضل كله في جانب الأجنب الكفار، ولم يدرك - أو درى وتجاهل وهو الأحرى بمثل هذا الرجل - أن الفضل الحقيقي هو السعى في طرق الكمال والتخلق بكل خلق جميل والتزهد عن كل خلق رذيل وهو الفضل الذي يرقى القلوب والأرواح ويوصل أهلها إلى أعلى الغايات واشتد السعادات الذي أصله وأساسه العقائد القلبية المؤسسة على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والأعمال القلبية التي مدارها على الإنابة إلى الله، وانجذاب دواعي القلب كلها إلى الله رغبة ورهبة ومحبة وخوفاً ورجاء وقصدًا وطيباً وتعبدًا وتأملًا وإخلاصاً صادقاً لله وحده لا شريك له. ثم القيام بالشرائع الظاهرة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام والجهاد في سبيل الله، وما يتبع ذلك من القيام بحقوق الوالدين والأقارب والجيران والأصحاب والمسلمين وقضية الحقوق كلها بالعدل والإنصاف وعدم الظلم والجور على القريب والبعيد والمعدوم والصديق، وبذل الجهد بالقيام بكل ما يبين المسلمين على أمر دينهم والاستعداد الكامل

لِقَاوِمَةِ الْأَعْدَاءِ وَالسَّعَى فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ وَتَحْصِيلِهِ بِكُلِّ مَقْدُورٍ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْحَقِيقِيُّ وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ عَلِمَ كُلُّ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَمَيُّزٍ أَنَّ لِلصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ هَذَا أَوْفَرَ الْحِظِّ وَالنَّصِيبِ وَأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَوْقَ جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَعِلْمٍ وَعَمَلٍ ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ أَكَمَلَ الْأُمَمِ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَخَيْرٍ وَأَكَمَلَ الْأُمَمِ الْمُنْتَسِبَةَ إِلَى الْأَدْيَانِ فَكَيْفَ بِالْأُمَمِ الْمُنْحَلَةِ الْمُعْطَلِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِينَ انْحَلَوْا مِنْ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ فَعَبَدُوا الطَّبِيعَةَ قَتَبًا لِمَنْ آثَرَهَا بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ عَلَى اللَّهِ بُسٌّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا . وَزَعَمَ هَذَا الْكَاتِبُ أَنَّ التَّقْيِيدَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ قَيْدٌ وَغَلٌّ يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ النَّافِعَةِ وَيَقْبِضُهُ عَنْ عِبَادَةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ عِنْدَ أَهْلِ هَؤُلَاءِ ، فَيَحِقُّ لِمَنْ كَانَ هَذَا مَتْنِيَّ مَرَادِهِ وَطَلِبُهُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا » إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَرِّفِينَ الْمُلْحِدِينَ الَّذِينَ انْخَدَعُوا هَذَا الْكَاتِبَ بِدَعَايَتِهِمُ الْخَبِيثَةَ يَدْعُونَ إِلَى نَبْذِ كُلِّ قَدِيمٍ وَاعْتِنَاقِ كُلِّ جَدِيدٍ ، وَقَدْ أَبْدَى هَذَا الْكَاتِبُ فِي هَذَا وَأَعَادَ وَكَرَّرَ ذَلِكَ مُرِيدًا بِهِدْمَ الْقَدِيمِ هَدْمَ أَصُولِ الدِّينِ وَقَوَاعِدِهِ كَمَا تَجَدَّدَ فِي صَفَحَاتِ (١٦) وَ (٣٧) وَ (٦٤) وَ (٦٩) وَ (٧٠) وَ (٩٦) وَ (١٦٠) وَ (٣٠٢) وَ (٣١١) مِنْ كِتَابِهِ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّفَحَاتِ . وَهَذِهِ الدَّعَايَةُ الْخَبِيثَةُ مَقْصُودُهَا الْأَعْظَمُ وَأَسَاسُهَا الَّذِي بَنِيَتْ عَلَيْهِ رَفْضُ الشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ وَالْإِنْخِلَالُ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ وَحُلُّهُ وَتَحْرِيمُهُ وَجَمِيعُ أَحْكَامِهِ وَالْإِنْخِرَاطُ فِي سَلَكَ الْمُعْطَلِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ الْمُتَحَلِّينَ مِنْ جَمِيعِ شُرَائِعِ الدِّينِ وَأَوَّلُ مَا يَدْخُلُونَ فِي هَذَا الْأَصْلِ الْبَاطِلِ رَفْضُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَصُولٍ وَأَخْلَاقٍ وَأَعْمَالٍ وَغَيْرِهَا وَتَوَصَّلُوا بِهَذَا إِلَى الطَّمَنِ فِي خَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ وَإِهْدَارِ أَقْوَانِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَعُلُومِهِمْ ، بَلْ وَجَمِيعَ مُحَاسِنِهِمْ وَالْحُلُّ عَلَى حِمْلَةِ الشَّرِيعَةِ

وأمة الهدى ومصابيح الدجى كما أشرنا إلى الصفحات الموجودة فيها ذلك .  
ثم إن هذا الكاتب بهرج على من لم يعرف الحقائق بالاستدلال بأحوال  
المتهمين من الصوفية والخرافيين ومن تسمى بالدين وهو منه برىء ، وأورد من  
أخبارهم وخرعياتهم ما يظن أنه يروج به باطله حيث نسب إلى حملة الدين وهو يعلم  
حق العلم أن الدين وأهله الذين هم أهله هم أيده الناس عن هذه الخرافات وأعظم  
المنكرين لها وأهم يبرءون منها وينزهون الدين الإسلامى عنها ، فكيف لا يستحى  
أن يستدل بأحوال ابن عربى وخرافات الشمرانى وشطحات المتصوفة على الدين وأهله  
ويشتبه من يشبه إلى القدح في الدين وحملة الدين ، وهو يعلم حق العلم أن الإسلام برىء  
من هذه الأمور والشطحات والخرافات ، فكيف لا يستحى من هذه البهجة  
والتناقض ، أبطن الناس كالبائس المجمع التي لا تفهم شيئاً ، أم سحر عقله فصار يهذى بالباطل  
وما يظن به صدره من الغل والإلحاد ، ألم يعلم أن الدين وأهله الذين هم أهله الذين عرفوا  
الحقائق وميزوا بين الحق والباطل والمحقين والمبطلين ينفون عنه انتساب كل مبطل  
كما ينفون عن عقائدهم كل باطل ، وأن المبطل لا يروج أمره عليهم بمجرد انتسابه إلى  
الدين ، فكيف انتسب إلى الدين من الزناقة والمشرقة والمطلقين من هوشر من اليهود  
والنصارى ومن يجمع بأحوال من انتسب إلى الدين وأهله فهو من المزورين البهرجين  
وكذلك من اتبع الآثار والحكايات الباطلة على الدين فهو مقتر كذاب كما فعل هذا  
الكاتب وملاً كتابه من الخرافات والحكايات المكدوبة ونسبها لأهل الدين ليتوكل  
على ذلك إلى القدح فيه وفي أهله ، والذين كما يعلم كل من له بصيرة أنه نقي خالص حق  
في أموره وفي فروعه وفي أخلاقه وآهله ، وتعالى جميعها في غاية العلو والسمو والسكينة  
العالية التي لا يتسع جمع العقلاء أن يفتقروا أحسن منها لو ما يقاربها لعجزت  
ألسنتهم وقدرتهم عن ذلك لأنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه  
( منتهى )

ولا من خلفه ويعرف هذا بتتبع أصوله وفروعه (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أى يهدي لأصلح الأمور من العقائد والأخلاق والآداب والأعمال للأسباب وغيرها فليات هذا الكاتب أو غيره بمثله إن كانوا صادقين ، فإن الدين الإسلامى قد فصل الحقائق ، وبين المناهج الصحيحة والطرائق ، وميز بين الحق والباطل ، وبين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ، وبين الخير والشر ، وبين العلوم النافعة التى تنفع الخلق فى دينهم ودنياهم من العلوم الضارة التى هى بضد ذلك ، وهذا الرجل يدعى أن العلوم كلها نافعة وليس فيها شئ ضار بوجه من الوجوه ، والله يقول : (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) فالدين هو الميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ، ويعرف به الظاهر من الخبيث والنافع من الضار ، فمن رفض من هؤلاء الملاحدة القديم ، وعنى به هذا الدين الحق فإنه فى حقيقة الأمر قد رفض جميع الحقائق الثابتة ورفض العلوم والأعمال النافعة . فمن أين لهذا النشء الحديث علوم نافعة وأعمال نافعة إلا من معين هذا الدين . من أين لهم أن يعرفوا رب العالمين بأسمائه وصفاته الذى هو أجل المعارف وأكبرها وأصلها ، ومن أين لهم أن يوجدوه ويؤمنوا به وبما جاءت به الرسل إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يقوموا بحقوقه وحقوق خلقه العادلة الفاضلة ، ومن أين تأتيتهم إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم أن يهتدوا للأخلاق الجميلة ويتبرهوا عن الأخلاق الرذيلة إلا من هذا الدين . ومن أين لهم أن يعرفوا الصراط المستقيم المحتوى على الحق علماً وعملاً إلا من هذا الدين القويم ، ومن أين لهم معرفة الشرائع والأحكام والحلال والحرام والمقود والمهود والشروط والحدود والمواثيق وتوابعها إلا من هذا الدين ، ومن أين لهم الطريق الذى أدركوا به تعلم الصناعات وأنواع الفنون والمخترعات النافعة إلا بعد أن نشر هذا الدين ظله على الخلق فأشرقت على الأرض أنواره فاقبست من هذا النور كل أهل علم نافع فى الدين والدنيا كل أحد بحسب مشربه ، فإن هذا الدين هو الذى أسس أصول الصناعات وقواعدها النافعة ، وأمر بها حيث يكون

فيها مصلحة للدين ومنافع للناس كافة كما تقدمت الآية الكريمة : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الآية وقوله : (واخذوا حذركم) ، وقوله : (وأرسلنا الحديد فيه بأمر من ربك) وقوله : (واضع للناس) وامتق على الإنسان بأن علمه ملهم يعلم من جميع العلوم والفنون النافعة ، فهذه علوم الشريعة على وجه التنبيه والاختصار كما ترى هل بقي علم نافع إلا دخل فيها وهل بقيت معارف يحتاج الخلق إليها في أمور دينهم ودنياهم إلا احتوى عليها وهل بقيت وسيلة وسبب وطريق من الطرق النافعة إلا واشتمل عليها . فإذا رفض هؤلاء الملحدون القديم وعنوا به دين الإسلام فقد رفضوا جميع الأمور النافعة فليس من حق بل عليهم يؤسسون عليه علومهم وأعمالهم ، فهؤلاء الذين يذمون القديم ومؤلف كتاب الاغلال حامل رأيهم مرادهم بذلك التوسل إلى رفض الدين الإسلامي بل صرحوا بمرادهم ، ومع ذلك فهم كذبة يتناقضون في هذا الإطلاق فلهم يذهبون إلى تقليد أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا ونحوهم من ملاحدة الاولين والآخرين فهؤلاء وإن كان لهم مهارة في علوم للمادة المحضة فإن كلامهم في الدين وأصوله أصح من كلام أدنى طلبة العلم الديني كما هو معروف من أحوالهم ، ومن أراد الوقوف على جهل هؤلاء الذين عظمهم هذا الكاتب فليستظر إلى كتابات ابن حجر اليهم وأقوال أئمة الإسلام وليستظر إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية خصوصاً العقل والنقل الذي وضع به بالبراهين العقلية فضلاً عن النقلية جهلهم البليغ ومعارفهم الضئيلة في أصول الدين وضلالهم العظيم فيها وإنما الذي رفع شأنهم عند أتباعهم معرفتهم في علوم الطبيعة الذي يشترك فيه البر والفاجر ، فهؤلاء وأمثالهم يفتخرون هذا الكاتب على ما جاءت به الرسل ويقتد بهم بلا خوف ولا خجل على ملجأ به محمد صلى الله عليه وسلم وما ذهب إليه الصحابة والتابعون وأئمة الدين والهدى والرشاد بقوله بهذا منتهاه وهذا حاصله بطلائاً وفساداً وجهلاً وضلالاً ، بل مكاررة وعناداً . وهذا الكتاب سلك في نصر هذا المذهب الفاسد سلك الأجانب أي

الاجانب عن الدين يريد أعداءه ورافضيه الذى ليس الغرض منه إلا اضلال الخلق وهو كما ترى مناف للعقل والدين ، أما الدين فلا يمتري فيه أحد كما نهىنا عليه ، وأما العقل فإن العقل والدين متآزران لا يرد الدين بما ينافى العقل الصحيح ولا يمكن أن يرد شئ بمقول مقطوع به يخالف الدين بوجه من الوجوه وقد أخبرناك بأن الدين قد نبه على الأخطاء النافعة كلها، وإن نهاية ما فعله المتأخرون هو ترقية الصناعات وتفرع المهن والمهارة العظيمة في أمور الطبيعة التي كانت أصولها تتناقلها الخلف عن السلف. ثم إن هذا الكاذب موه على الناس وزعم أن الذى أوصل هؤلاء المتفنيين في العلوم العصرية والاختراعات نبذهم للدين وكل أحد يعلم أن نبذهم الدين لم يوصلهم إلى مصلحة دنيوية فضلاً عن المصالح الدينية وإنما الذين أوصلهم إلى الترقى في هذه الفنون جدم البليغ واجتهادهم ومواصلتهم الليل مع النهار في تعلمها وإدراكها وتفرعها وترقيتها ، وقد تقدم لك أن الدين الإسلامى يحث على تعلم كل نافع منها ويأمر بكل علم يعين الأمة على مقاومة الأمم ويوصلها إلى مصالحها فمن استدل بتفوق الاجانب في علوم المادة على صلاح دينهم وفساد دين غيرهم فهو من أجهل الخلق وأبغضهم عن المعارف بالكلية أو مغرر مموه يقصد الترويج على من لم يعرف الحقائق كما هو دأب هذا الكاتب الذى يسعى فيه . ومن تمويهاته الشنيعة التي يريد بها محاربة الدين وأهله أن يزعم أن المسلمين يحثون على الفقر والبأساء والضراء وأنواع المصائب ويطلبونها ويسمعون في تحصيلها بكل طريق ، ويسخر منهم ومن ذكر الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على فضيلة الصبر على الفقر والأمراض وأنواع المصائب كما صرح بذلك في صفحات (١٢٦) و (١٤٠) و (٣١٩) وكذلك جميع النصوص الدالة على ذلك من الكتاب والسنة وهذا من باب قلب الحقائق فإن ذلك من أعظم محاسن الدين الإسلامى حيث أرشد أهله إلى التربية العالية التي هي أنفع التريبات وأجلها وأكثرها آثاراً حميدة فقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في فضل الصبر على المصائب والأمراض وأنواع المحن التي لا بد للخلق كلها



منها في هذه الدار وذكر فضائل الصابرين وبها لهم من عند الله من الثواب وذلك  
 لما عاينوا أنفسهم على تقلبات هذه الحياة الدنيا من غنى إلى فقر ، ومن يسر إلى عسر ،  
 ومن بأساء وضراء إلى خير وسراء ، ومن عافية إلى مريض ، ويعلمون كيف يتلقون هذه  
 الأمور اللازمة للبشر في أطوار حياتهم فهي من ضرورات الحياة والوجود ، وأمرهم  
 أن يتلقوا النعم والخيرات بالشكر والاعتراف بنعمة النعم وصرفها في الأمور النافعة في  
 أمر الدين والدنيا وعدم الطغيان والبطر فيها ، وأن يتلقوا المكروه والمصائب بالصبر  
 والاحتساب والرضى بما منّ المولى والرجاء لثوابها العاجل والآجل ، فهم يتقبلون في  
 أحوالهم كلها مسرورين مفتطين إن أصابهم سراء شكرُوا وقاموا بحق النعم وصرفوها  
 فيما يعود عليهم بالنفع عاجلاً وآجلاً وإن أصابهم الضراء صبروا ونضروا فهم أقوى  
 الخلق وأجدهم عند المصائب والمكروه التي لا يسلم منها بر ولا فاجر بل كثير منهم  
 يتلقونها بالرضى والطمأنينة والشجاعة التامة وعدم الكراهة حيث تنخور عزائم المنحرفين  
 عن الدين عند المصائب ويجري لهم من التسخطات والجزع والهلع والألام القلبية  
 والزلازل الروحية والفظائع والفتائع التي قد توصلهم إلى الانتحار الذي يبرهن على  
 ضعف النفوس وخورها وأنه بلغ معها المكروه مبلغاً لا تقصر معه على الحياة ،  
 يقارن بين هذه الحال الفظيعة وحالة المسلمين القاعين بوظائف دينهم تجمد الفرق العظيم  
 بين النفوس والهيم القوية من المهينة ، ويشهد بذلك قوله تعالى : « إن الإنسان خلق  
 هلوفاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين » . وقوله تعالى « ولئن  
 أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء  
 منه ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات  
 أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » وتعرف بذلك أن النصوص التي فيها فضائل الفقر  
 والفقر والأفراض والمصائب المتنوعة والحث على الصبر والمرض وبيان ما في ذلك من  
 الثواب لقصد حث النفوس على مقابلتها خير مقابلة ، وإن ذلك من محاسن دين الإسلام

حيث يملأ هذا الكاتب أن نقل أهل العلم ويهدأ الأمة هذه النصوص تدل على سوء حال المسلمين وأنهم بذلك يسمعون ويطلبون هذه الأمور بمجدهم. وهذا من التوفيق الذي لا يصل إليه أحد من الأجانب ، فأن دعواه أنه ينصر الدين وهو من أكبر المخارين له وقد علم كل أحد أن هذه النصوص قصد بها تربية المسلمين على مجاهدة هذه الشهوات بصدور منسرحة ونفوس مطمئنة ، وكل عارف بدين الإسلام يعرف أنه يأمر بالأخذ بجميع أسباب الصحة من تدبير الأغذية والنوم والنظافة الإيمانية والحركة الرياضية ونظافة الأبدان والثياب والفرش والمساكن وغيرها حيث يدعى هذا الكاتب عكس ذلك فليأتنا بمثال واحد ونص واحد من الدين يدل على ما قاله من زعمه الدين وأهله بالندس والوسخ والأخلاق والآداب المزرية فيا ويحه ما أعظم جرأته ، وكذلك هذا الدين يبحث على التداوى إذا وقعت الآلام ويحرم الشارع أنه ما من داء إلا وله شفاء ودواء علمه من علمه وجهله من جهله لئلا يخلدوا إلى الكسل عن مداواة بعض الآلام ويظنون أنه لا دواء لها فإنهم إذا علموا أن لها دواء جدوا في تعلمه وطلبه ، وكذلك المسلمون يسمعون في دفع مضرات الفقر والأمراض والبلايا ويسألون الله العافية منها فهم يدافعون أقدار الله المكروهة شرعاً وطبعاً بأقداره المأمور بها شرعاً وطبعاً وليسوا كما رماهم به هذا الكاتب أنهم يسمعون لتحصيلها فهم أصبر الخلق على المصائب وأعظمهم سعيًا في جميع الأسباب النافعات وليسوا كمن صرف جميع همهم في السامرة من الأمراض البدنية والفقر ولا يبالي بدفع الأمراض الروحية التي هي أشد فتكاً وأعظم هلاكاً وأدوم شقاء وهي أمراض القلوب ، ولا في دفع الفقر الحقيقي وهو الإفلاس من الباقيات الصالحات كما يدعوا إليه هذا الرجل ويبحث عليه في كتابه ويبحث على صرف الهممة كلها للوسائل ويذهب عن المقاصد النافعة التي لا تنفع الوسائل بدونها ، فهل ينفع إصلاح الأبدان فقط مع فساد القلوب ؟ وهل يفيد إصلاح البدن فقط مع تخريب الآخرة ؟ فالآخرة والعمل لها ليس عند هذا الكاتب لها ذكر ولا خبر

وإذا انهار الأصل تناهت الأركان والفروع <sup>بالمعنى الحقيقي</sup> يقومون بمسؤولياتهم  
 التي <sup>بالمعنى</sup> الأصل يستعينون بما في هذه الدنيا على هذا الطوب الأعظم فهم أطيب  
 الخلق <sup>بالمعنى</sup> وأجسام قلوباً وأمنكرهم لله عند النعم والحيوات وأصبرهم عند البلايا  
 والكروحات ، فدين الإسلام من محاسنه أنه يدعو إلى هذه الحياة الطيبة ويجمع بين  
 الوسائل النافعة والمقاصد المطهرة حيث تدعو الآراء المتخرفة التي يدعو إليها هذا  
 الكتاب إلى القسوة العظيمة الحرة والشهوات والأغراض السفلية، ومن تأمل كتاب  
 هذا المتخرف رأى أنه يبدى وعيد في صرف القلوب بالسكينة إلى الشهوات واللذات  
 وإطلاق السراج النفوس وأنه لا ينبغي أن تنقيد بشيء يصدها عن تحصيل مآربها  
 السفلية ثم في مقابلة ذلك يهون الجزاء الأخرى وقد يستهزئ به ويحجى بأساليب  
 استهزاء وسخرية محزنة كما ذكره في صفحات (١٧) و (٣٥) و (٣٧) و (٦٦)  
 و (٧٨) و (٨٥) و (١٢٦) و (١٧٨) و (٣١٩) و (٣٢٥) فيا ويحه ماذا  
 أتى على دينه بل ماذا أتى على عقله فإن الاستهزاء والسخرية بوعده الله ووعيده كما أنه  
 يخرج من الدين فإنه يخرج من طور العقل ، فهل في القضايا والحقائق أعظم وأكبر  
 من وعد الله ووعيده ، وهل في جميع المسائل السكينة والحرية أجلي برهاناً وأوضح  
 أدلة من أدلة هذا الأصل العظيم الذي اجتمع على تحقيقه وتصديقه جميع الأنبياء والرسل  
 والأدلة الثمينة والعقلية بل والأدلة الحسية المشاهدة فمن أكر ذلك واستهزأ به فقد  
 نادى على عقله بالسفه والخروج عن طور العقل بعد ما خرج من الدين فكل من  
 استهزأ بالإيمان وبوعد الله ووعيده فإنه داخل في قوله تعالى : « قل آياته وآياته ورسوله  
 كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم » ومن يبحث هذا الكتاب  
 الخبيثة أنه أنحى على خيار الخلق وعلى عليهم في قيامهم بمخالص اليهودية وروح  
 الدين والإسلام وهو الافتقار التام إلى الله وتفويض المبد أموره كلها إلى الله ونقل  
 كلام ابن القيم في حقيقة النظر ذلك الكلام النفيس القيم في تحقيق المبدأ افتقاره إلى

ربه وتعلق قلبه التام بربه الذى جاءت به الكتب ودعت اليه الرسل وتنافس في نيته  
أرباب الصديق والإخلاص وأولوا الأبواب فساقه مع غيره نافياً له متهمكماً ساخراً بعباد  
الله المخلصين هازئاً بالأخيار المفتقرين الى الله خالقهم الغنى الحميد وهو في الحقيقة المسخور  
منه المبتلى ببلوى يسألون الله منها العافية وهذه السخرية في الحقيقة والتكذيب من وجه  
الى روح الدين فإن روح الدين هو التواضع والذل التام لرب العالمين ورؤية العبد  
افتقاره الحقيقي إلى ربه واضطراره إليه في جلب مصالحه ودفع مضاره وأنه لا يملك لنفسه  
نفعاً ولا ضرراً بوجه من الوجوه وأن من تمام عبوديته إلى ربه أن يلجأ إليه ويضرع  
إليه في جميع شئونه ويعلم أنه في غاية العجز والضعف عن القيام التام بفعل الأوامر  
 واجتناب النواهي وعن القيام بجميع الوسائل النافعة وأنه وإن لم يُعنه ربه لم يتم له أمر  
فالمسلمون يعلمون أن افتقارهم إلى ربهم لا ينافي قيامهم بالأسباب النافعة كما أن القيام  
بالأسباب لا ينافي الافتقار إلى الله تعالى بل كل واحد من الأمرين يعد الآخر فكلاً  
ازداد العبد افتقاراً إلى ربه والتجاء إليه جاءه من معونة ربه وتيسير أموره ما لا يحصل  
له بدون ذلك وكما قام بالأسباب مستعيناً بالله أمدته بإعطائه وتوفيقه ، فهذا الكاتب عجز  
أو جعل افتقار المسلمين إلى ربهم يوجب الضعف والكسل وموت الهمم وصورة بهذه  
الصورة الشنيعة ثم طفق يحط على خيار المؤمنين ويرميهم بضعف الرأي والهمة والعقل  
ولم يعلم المسكين أنه ينادى على نفسه بسفاهة العقل وقلة الإدراك إذ كان هذا ظنه وإن  
كان الأمر غير ذلك فهو يبرهن على خداعه وبهرجته وتصويره حالة المسلمين بحالة شتماء  
ليتوسل إلى القدر فيهم وفي دينهم عند من لا يعرف الحقائق ويح هذا الرجل إذا  
أنكر روح الدين ومقوماته وأصوله العظيمة التي لا تستقيم جميع الأمور إلا بها فإذا  
يعترف به وإذا ذم الافتقار إلى الله والرجاء له في كل الأحوال والاعتراف بأنه هو الميسر  
للأمر السهل للصعب الذى ما بالعباد من نعمة وخير وتوفيق فليس إلا منه ولا باقى  
بالحسنات إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو ، وهو الذى يجيب دعوات المضطرين ويرحم

ضعف المفتقرين وبجر قلوب المنكسرين <sup>لجلافة الطامعين</sup> كل الطمع في فضله ونواله إذا  
 ذم هذا فأى شيء يحمد ويمدح أيحمد النفس الضعيفة المهينة العاجزة عن مصالحتها إلا  
 بما يقربها أو يثني على الطبيعة ويأمر بالافتقار إليها وصرف الهمم والقلوب إليها وهذا  
 ما يدعو إليه فيأ ويحبه ما أخسر صفقته وباليث شمري ماذا يقول في أكل الخلق في  
 جميع الصفات الكاملة وشيد المتوكلين وقدة المفوضين وأعظم الخلق افتقاراً إلى ربه  
 بكل معنى واعتبار حين يقول صلى الله عليه وسلم : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى  
 نفسي طرفه عين ولا إلى أحد من خلقك واصلح لي شأني كله ، اللهم إن تكلني إلى  
 نفسي تكلني إلى جهنم وعورة وعجز وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فارحمني رحمة  
 تغنيني بها عن رحمة من سواك . لا بد أن يقول أن هذه حالة ذميمة صاحبها مهين ضعيف  
 النفس كسلان كما صرح به حيث وجه الهم إلى السالكين المفتقرين إلى ربهم وحسبك  
 بقول فساداً وبطلاناً وشناعة أن يبلغ هذا المبلغ . ولقد تم كلامه في الافتقار إلى الله  
 كلامه في التوكل حيث فسر التوكل بتفسير طويل مررد يرجع حاصله إلى أن معناه  
 العلم بنظام السكون وأنه لا يتغير ولا يمانه مما منع ولا يغير الله أسبابه بإيجاد أو تقوية  
 أو زيادة أو نقص فأبطل التوكل من أصله ونفاه من أسه ، والتوكل هو من أعظم أصول  
 الدين وأعمال القلوب التي لا تتم شروطها إلا بالإيمان التام بالله تعالى والإيمان بقضائه  
 وقدره وأنه تعالى هو المتصرف ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن الأمور كلها بيده  
 وتحت تدبيره وأن نواصي العباد بيده تعالى وأن أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وجميع  
 شؤونهم الجليلة والحقيرة منتظمة في قضائه وقدره وأن أفعالهم من طاعات ومعاص  
 داخلية في مشيئته وقدره وأن الله جعل لهم الاختيار فيها ولم يجبرهم عليها فإذا علم العبد  
 ذلك حق العلم اعتمد على ربه اعتماداً حقيقياً في جلب مصالحه وفي دفع مضاره الدينية  
 والمادية وثق بتحقيق مطلوبه وأن الله كاف من توكل عليه فهذا التوكل الذي  
 جاءت به الرسل ونزلت به الكتب واتفق عليه جميع أهل الملل والأديان الصحيحة

وهذا قد أبطل ذلك كله لأن من كان أصله نبيد الإيمان والحث على نفيه وزعمه أنه لا تقوم الأسباب الا برفض الإيمان ومن كان مذهبه أن التديرات في العالم العلوى والسفلى كلها من تديرات الطبيعة ونظامها وتفاعلها وتطورها ومن كان مذهبه في الروح ذلك التفسير الذى نهينا عليه ، ومن كان رأيه في الجزاء الدنيوى والأخروى ما أشرنا إليه ، ومن كان يدعو الى رفض القديم الذى هو كتاب الله وسنة نبيه ومن كان يأمر الناس بثقافة جديدة إلحادية ينبذ فيها تعاليم الدين وأخلاقه كلها ، ومن صرح بالكفر بجميع الأنبياء تصريحاً لا يترى فيه كما سيأتى ان شاء الله نص كلامه ومن كانت هذه الأصول الخبيثة وغيرها أصوله التى يبنى عليها فلا تتعجب من سبب إنكاره للتوكل على الله وتكذيبه جميع نصوص الكتاب والسنة في معناه .

وكذلك من مباحث هذا الكتاب الضارة التى بلغت في القطاعة ووصلت في الخلاعة مبلغاً ما وصل إليه ولا تجرأ عليه أحد له أدنى عقل وبصيرة من الأولاد والآخرين ما يديه ويعيده ويكرره أن الإنسانية لا تزال في تطورها وترقيها حتى تصل إلى الاتصاف بصفات الرب العظيم إن كان يشته بلفظه فالإنسان بزعمه يتمكن أن يكون بكل شيء علماً وعلى كل شيء قديراً وأنه قد علم ما كان في أول الموجودات وما يكون من آخرها وأنه علم مبدأ هذه الخليفة وخلف علوم الرسل خلف ظهره وهو يحاول أن ما سيكون في هذا العالم بل علم مقدار ما بقى من عمر هذا العالم وقد علم حالة العالم السفلى وهو يحاول وسيدرك علم العالم العلوى وصنع الصور والأجسام وهو يحاول أن ينفخ فيها الروح فهو لا يستبعد إيجاداً للحيوان الصناعى والإنسان الصناعى غير مبال بتكذيبه لله ورسوله فقد زعم أنه قد يتمكن أن يوجد الحيوانات، وزعم أن التفرق بين الخالق والمخلوق أكبر الأغلاط وأنه يجب أن لا يفرق بين الرب العظيم وبين الإنسان وأن من فرق بينهما فلجهل وضلاله وغلطه كما صرح بذلك في هذه الصفحات من كتابه المذكور (٣٨) و (٥٨) و (٦٧) و (٧٠) و (٧٧) و (٧٨) و (٩٧)

فانظر كيف رمى بهذا الأمر الفظيع وهو تضليله للمفارقة بين الله وبين خلقه كل رسول  
 أرسله الله إلى الخلق وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أئمة الهدى  
 ومصابيح الدجى فإن زبدة ما جاءت به الكتب السماوية والرسل العظام هو توحيد  
 البارى واعتقاد انفراده بجميع معانى الكمال المطلق الذى لا تدركه العبارات ولا  
 تتصوره الأفكار وأن جميع المخلوقات فى العالم العلوى والعالم السفلى لا يمكن بل  
 يستحيل ويمتنع أن يساوا رب العالمين وأن يماثلوه فى صفة من صفاته ولا تمت من  
 نعمته وأن أظهر القضايا الدينية والعقلية والفطرية هو التفريق بين الخالق والمخلوق فى  
 كل النعوت فالرب هو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرزاق المدبر وما سواه مرزوق  
 مدبر وهو الأول الذى ليس قبله شيء والآخى الذى ليس بعده شيء والعليم بكل شيء  
 والقدير على كل شيء والعزى بكل معانى العزة والحكيم الجامع لمعانى الحكمة والمظيم  
 الذى له جميع صفات الكبرياء والعظمة إلى غير ذلك من نعوت جلاله وصفات كماله  
 والمخلوق حادث بعد المدم له أول وآخر وهو ضعيف العلم ضعيف القدرة والله تعالى  
 هو الذى أعطاه ما أعظم من علم وقدرته فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأعظم الخلق  
 وهم الرسل والملائكة قد اعترفوا أنه لا علم لهم إلا ما علمهم الله فمن سوى بين الله  
 وبين خلقه فلا يمتدوا إما أن يكون أعظم الخلق جهلاً وضلالاً واعتذاراً وإما أن يكون  
 منكراً لرب العالمين جاحداً لمن كل وجه يريد أن يخادع ويمكر بإظهار الإيمان به .  
 فهذا الكاتب خادع ومخدوع بما رآه فى تفوق الأمم المتقدمين فى الصناعات والاختراعات  
 والفنون المصرية وأنهم لما مهروا فى علوم المادة والطبيعة فلا بد أن يصلوا إلى العلوم  
 التى لا يعلمها إلا الله ويقدرها على ما ليس فى بوسع الخلق وطاقتهم القدرة عليه إن  
 جاز أن يظن هذا الظن ، فليعلم إن كان لم يعلم أن الله تعالى خلق الإنسان فى هيئة  
 وبصفة قابلة للتلقى فى العلوم والأعمال التى هى فى طوره وطاقته وأمدد بالعقل والفكر  
 وإرشادات الرسل ومن سلك سبيلهم فى هداية الخلق وهياً له الأسباب التى توصله

إلى أعلى ما يمكن الوصول إليه من الأطوار البشرية وجعل له حداً ينتهي إليه ويتميز عليه بمجاوزته جملة يترقى في أشرف العلوم وهو علم التوحيد والتفكير والأخلاق والأحكام وفي علوم السياسة وتدير الأمم وطبقات الناس وسخر له هذا الكون يستخرج آثاره ويستمد بقواه على صنائعه ومخترعاته فحصل للناس في هذه الأمور أو كما يقال إلى حيث هي لهم كل على حسب مشربه أما الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين والأئمة المصلحين الهادين المهديين فشرّبوا من العلوم الدينية وتغذوا بالمعارف الربانية المصلحة للقلوب والأرواح المرقية لها إلى أعلى الدرجات وأكل السعادات وكلوا ذلك بعلوم الأحكام ومعرفة الحلال والحرام وعلوم القاملات والحقوق المتنوعة بين الملوك والفقراء على كمال العدل والقسط والصالح والإصلاح ومعرفة الفنون السياسية وجميع العلوم الممينة على الدين المصلحة للأحوال الخالصة للمنافع الدافعة للمضار حتى صاروا هادين مهتدين، بهم يهتدى المهتدون بإرشادهم يهتدى الصالحون فلم يصل لأحد علم ولا معرفة ولا خير إلا على أيديهم وبهدايتهم وعلومهم ومعارفهم توزن العلوم والمعارف وبأخلاقهم وأعمالهم يتبين الصالح من الفاسد فيلجأوا شأواً وطريقاً لم يصل إلى قريب منها أحد من الأولين والآخرين وصار الواحد من أتباع الرسل وأئمة الهدى لو قيس به جميع من بعدهم هذا الكاتب ويخضع لمعارفهم وأحوالهم من أئمة الملاحية لم يصل إلى عشر معشار ما أوتي من القوة العلمية فضلاً عما يترتب على ذلك من أحوال القلوب والإنابة إلى الله تعالى وكل من له معرفة يشهد بذلك والكاتب اعترف به وشهد به حيث ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصراع ترجمة حافلة وفضله على جميع العلماء وأنه بزعم نسمة علمه وقوة إرشاده وسعة إطلاعه ومهارته المعجبية لا فرقه في المسلمين منهم، والباطلين ولكنه كذب نفسه وتناقض في هذا الكتاب فيما يخصه والسكين أن يؤفك ويصرف عن الحق . وأما في هذا الوقت الأخير فقد جددت الأفرنجية والأمريكية ومن تبعهم واجتهدت في الفنون المعاصرة وصرفت لها أوقاتها



وراحتها وأقبات عليها إقبالا عظيما فبلغت هذا المبلغ الذي لم يصل إليه أحد وهي جادة  
في السير إلى تكميل فنونها وتستصل بحسب ما يرى إلى ما تصل إليه قواها ومداركها.  
وأبعد كون معارفهم لا تنتهي لها وأعمالهم لا حد لها وأنها ستزاحم رب العالمين وستعلم  
كل شيء وتقدر كل شيء فهذا أمر يعرف بطلانه ببداية العقول، نعم هي قد توصلت من  
علوم المادة الأرضية والحيوية وتسخير القوى النطقية إلى أمور لا يمكن إنكارها أما  
كونها تحصل إلى عالم السموات والعالم العلوى وعلم ما كان وما سيكون مما لا سبيل لها  
إليه بوجه من الوجوه أو أنها ستتمكن من إيجاد الحيوانات ونفخ الروح فيها فهذا  
ممتنع في العقول الصحيحة كما أنه ممتنع في الشريعة فإن الله تفرد بعبود لا يعلمها  
نبي مرسل ولا ملك مقرب فضلا عن غيرهم وتفرد تعالى بأنه هو الذي يميت ويحيي  
لا يشاركه في ذلك مشارك من أهل السماء وأهل الأرض، فهذا يقال على سبيل التحدى  
لأبي مخلوق يكون: قد صنع هؤلاء المحترعون وأهل المهارة في علوم المادة الصور والصنائع  
الذهشة فهل في إمكانهم إيجاد بعوضة أو غيرها أو يردوا الروح إذا بلغت الخلقوم إلى  
موضعها ويقال لهم أنهم قد أوجعت المراكب البرية والبحرية والهوائية وسخروا  
مادة السكرباء حيث يريدون وشاؤن وفعلوا كذا وكذا مما هو داخل في قدرة  
الإنسان وحلوا العناصر الكبار والصغار فهل في إمكانهم أن يوجدوا أصغر مخلوق  
وهل لهم طريق إلى العلوم الغيبية التي انفرد الله بعلمها فهل عندهم علم متى يحيى المهر  
ومتى يموت الصحيح وما مقدار عمره وماذا يكسب الخلق في مستقبلهم على سبيل العلم  
الحازم . ونهاية ما عندهم التكهنات والتخرصات بحسب ما يشاهد من الأسباب وهل  
لهم سبيل إلى العلم بأحوال البرزخ والآخرة مما أخبرت به الرسل وكيفية ما فيها . وعند  
هذا الكتاب أن الإنسان لا يتعذر على علمه ولا على قدرته شيء فتأمل هذا القول الذي  
لم يصل إليه أحد من العقلاء ولا الحق . وفي كتابه في مواضع متعددة اعتراف بانفراده  
عن الناس بكثير مما ذكرناه ونذكره عنه من الأقوال الباطلة وأنه أدرك ما لم يدركه

الرسول وأتباعهم، وهذا مع ما فيه من العجب والافتقار البليغ والكذب الصراح اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاء كلهم وهذا من التجري والافتراء بمكان سحيق فالشركون واليهود والنصارى لم يجرؤا على ما يقارب هذا القول وقد اتفق جميع المذنبين للخالق من أهل الأديان وغيرها أن الخلق لا يمكن أن يساوى الخالق بوجه من الوجوه ونهاية ما بلغ شرك الشركين أنهم جعلوا لهم آلهة يزعمون أنها تعمل لها من العبودية ما يستحق الله مع اعترافهم أنها مخلوق عاجزة ناقصة وأنهم ما عبدوهم الا ليقربوهم الى الله زلفى فتباً لمن صرح بمقالة يتحاشى ويشتره عنها اليهود والنصارى والمشركون. وأما قصوو هؤلاء المتأخرين في علوم التوحيد والدين مع مهارتهم في فنون الطبيعة فهذا من آيات الله وبراهين قدرته أن تجد أناساً في غاية الذكاء والبراعة وقد أدركوا من العلوم والفنون العصرية ما عجز عند الأولون وحار فيه الآخرون ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط في هذه الأشياء تجدهم في غاية الجهل والقصور العظيم والضلال البعيد عن العلم بالله وتوحيده وما يستحقه من العظمة والجلال وتجدهم يشاهدون من خوارق علم الإنسان ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيوبه وأحوال الجراء وهم مقيمون على الكفر والتكذيب أفيقدرة الإنسان يؤمنون وبقدرة الملك العظيم يكفرون؟ فهؤلاء برعوا في أمور خاصة ضئيلة بالنسبة الى العلوم النافعة والمطالب العاليه التي لا سعادة للخلق ولا فلاح لهم الا بها وعموا عن المقاصد فبذلك يعلم أن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وان اعجاب الإنسان بنفسه وتبه بمعارفه الضئيلة أكبر حجاب بينه وبين الله وأنه ان تحلى عنه طرفة عين هلك وشقى .

ومن فروع غلوه في الطبيعة أن ادعى وكابر وكذب ما جاءت به الرسل وأخبر الله به في كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن آدم أبي البشر وزوجه وعبدوهما ابليس وما قص الله من أنبيائهم فتجراً هذا الرجل وترك ما أخبر به الرسل والكتب السماوية وسلك مسلك ملاحدة الطبائمين الذين نظروا نظرية خرافية تسمى نظرية

دارون الإنكليزي ما لها تسلسل الإنسان عن القرد والقرد عن كلب أو حيوان دونه وهكذا خطأهم فيها قومهم فضلاً عن الرسل وأتباعهم حيث زعم أن الإنسان الأول في طور ذهنية بالحيوان أو هو الحيوان وأنه بقى مدداً طويلة ملايين أو ملايين الملايين حساباً جراحاً لا ينطق ولا يحسن الخطاب ولا يرد الجواب وإنما يتناغتون ويتصايحون تصايح الأجنه في أول وضعهم من بطون أمهاتهم وأنهم مكثوا تلك المبدد العظيمة وهم على هذا الوصف ثم أنهم ارتقوا عن هذا الانحطاط فتمكنوا من الإشارات وصار بعضهم يشير الى بعض من غير أن يهتدوا الى نطق ثم مكثوا ماشاء الطبيعة الا ماشاء الله عليهم حتى ارتقوا فصاروا يتمكنون من النطق فلم يصلوا الى هذا الطور حتى مضت عليهم أحقاب بعد أحقاب وهذا مع ما فيه من تكذيب جميع الكتب والرسل فإنه أخبث التخرصات وأبعدها عن الحقائق فأى طريق دلهم على هذا التخرص الباطل وأى سند أوصلهم الى هذه الجراءة ولكن بأى الله تعالى إلا أن يفضح الناذين لدينه المكذبين له ورسله تزكوا علوم الرسل والحقائق اليقينية وتبعوا التخرصات وما خرصوه وتخرصوه في الحفريات وما يحدونه من جثث بعض الحيوانات فبعداً لمن اختار هذه الخرافات والخزعبلات على ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يكذبون الله ورسله ويؤمنون بكل شيطان مرید .

ثم انظر الى المبحث الأخير من كتابه الذى عنوانه ( المشكلة التى لم تحل ) فى صفحة ( ٣١٥ ) وما بعدها الى آخر كتابه كيف أتى فيه بالطامات والفظائع وأنكر المنكرات وكيف حاول وصرح بأن الإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من أشكال المشكلات وهى أصل الأمور وأوضحها وأجلاها براهين ثم صرح بهذه الجراءة التى ما وصل الىها أحد من البشر إلا فرعون وأشباهه الذين أنكروا رب العالمين وجحدوه بالكلية . وقد صرح أن الأولين والآخرين لم يحلوا هذه المشكلة فجميع الكتب المنزلة من الله التوراة والإنجيل والزيور والقرآن وجميع ما قالته الرسل عموماً

وقاله سيدهم وإمامهم خصوصاً وجميع العلماء الربانيين والمهتدين والمحكماء والأساطين الجميع عنده لم يعرفوا الإيمان بالله ولم يحلوا هذه المشكلة التي زعمها بوقيت عند هؤلاء مشكلة الإيمان في غاية الإشكال والتعقيد عندهذا الكاتب في وجهه وأعظم هذه الطامة وما أشنع هذه الجراءة على الله وعلى رسله وكتبه وعلى جميع أهل العلم كيف طاعته نفسه على هذه الطامة الكبرى وكيف لم يكن له عقل يحجزه ويردعه عن هذه الشناعة التي صار بها مضرب المثل في الإلحاد الجنوني والزندقة المقتتة سبحانه الله العظيم وصدق رسوله النبي الكريم هذا الدين العظيم الذي وضع الحقائق الأصولية والفروعية وعلوم الباطن والظاهر والعلوم المتعلقة برب العالمين والمسئلة بالخلق والخلق بالرب كل شيء وإوضح كل شيء وهذا الرسول الكريم الذي هو أعلم الخلق على الإطلاق وأكلمهم في جميع المعاني والصفات إذا قصر هذا الدين وهذا الرسول عن بيان هذا الأصل الذي هو أصل الأصول والأساس الأكبر لأُمور الدنيا والآخرة فأى شيء بين ووضح وإلى أى شيء هدى وأرشد وإذا لم يحل ما زعمه هذا المقتري مشكلاً فأى مشكل حله وأى علم أبانه ووضحه . لقد كان هذا الدين على زعم هذا الكاتب من أعظم النكبات على البشر نقول على زعمه على وجه الإلزام وقد صرح بذلك في مواضع من كتابه وعلى زعمه ما زاد الناس هذا الدين الكامل ولا الرسول العظيم الاثراً ولا أوقعهم الا في أعظم الضرر فسبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . هذا الأصل الكبير قد وضحه الله في كتابه ووضحه رسوله توضيحاً حتى بلغ من وضوحه ان كان أظهر من الشمس في رابعة النهار وأبلغ من جميع المسائل كلها فلا يوجد في الدنيا أى مسألة الا وكان بيان هذا الأصل أعظم من بيانها وبراهينه وأدلتها أكبر من براهينها وأدلتها . لقد كاد الكتاب والسنة أن يكونا تأصيلاً وتفصيلاً لهذا الأصل العظيم وأما البراهين العقلية والفطرية فكلها متفقة على الاعتراف بالله حتى المشركون الذين يحملون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً من العبادة معترفون أن الله هو

الحائى الرازق المدير لجميع الأمور ، وقد قالت الرسل أفى الله شك . وقد عظمت هذه المسألة أن يبرهن عليها كما قيل :

وليس يصح فى الأفهان شئ . إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا المفترى بعد المحاولة والمجادلة وترديد الكلام والهمز الذى لا حاصل له زعم أنه انفراد بحلها فاستنتج بعقله الختوني وجزاءته العظيمة أن خلها الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان وراء ظهورهم ويكونوا معاتقين للطبيعة منسلخين من الدين والشرية بالسكينة وانهم إذا فعلوا ذلك فقد سلخوا هذا اللغز المقدس ، وإن بقى عليهم بقايا من الإيمان فإنهم فى قيود وأغلال وقد تغدروا عليهم الهوض والرق . فيا ويحه أن قوله إنه مؤمن بالله وبكل ما أخبر به ، وهل بلغ أحد من الملحدين هذه الهاوية السحيقة . لقد وضح كل الوضوح وزال الإشكال أن هذا الرجل مخادع قد سلك نهجاً جديداً فى السبابة الإلهادية . أتى على جميع الأديان من أصلها لينزلها ويقلعها . فهو بهذه العناية قد تصدى لمحاربة الأديان السماوية كلها ، وأصبح المسكين الذى أضحى فريسة الملحدين إذا لم يثبت أصل الإيمان فأى شئ يثبت ، وإذا لم يؤمن بالله فأى شئ يؤمن ( فأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ) فمن وصلت به الحال إلى هذا الحد من الجحد لم يبق للسكلام معه فائدة لأن الكار المباهت تربه إظهار الأشياء فينكرها .

يرغم هذا الكاتب أن إيمان المتدينين بمنعمهم من مباشرة الأسباب وإن يشرورها فعلى وجه ضعيف . هذا حاصط المعنى الذى طول فيه الكلام وردده واستنتج منه أنه يتحتم على الناس رفض الإيمان بالله وبأقداره حتى يخرجوا من غلهم وحسبهم وينطلقوا من أحسبهم . لقد صدق هذا الكاتب فى حق الإيمان حبس لهم ، ولكن عن التهنك فى الأخلاق الرذيلة ومن الانهاس فى القبحور والقواض الظاهرة والباطنة وقيد لهم عن التجرد والظلم للخلق فى دماهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ، وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحين بما داموا متمسكين به ، لكن بتركه والإعراض عنه تتحل عنهم

القيود الشرعية فيصيروا كالبهائم وتكون أمورهم فوضى ، وهذا ما أراده هذا الكاتب وهو يعلم حق العلم أن هذه الثمرات الجليلة من أعظم محاسن الدين وأجل ثمراته ولكنه يسمى أحت السعى لقطعها ( ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ) . فهذا الرجل لم يسلك مسلك الخذاق من الملحدين الذين يمهون بأشياء تروج على كثير من الناس ، ولكنه جاء إلى أظهر الأشياء وأجلها وأوضحها فأنكره غاية الإنكار وكابر فيه أعظم مكابرة . زعم أن الإيمان بالله يضعف القوى ويوهن الغرائم ؛ والحال أنه لا تقوم القوى كلها ولا تنهض إلا بالإيمان بالله فانه لا حول ولا قوة إلا بالله فكل حول وقوة مستمدة من حول الله وقوته ، والعيد إذا وكل إلى نفسه فقد وكل إلى ضعف وعجز ونقص من جميع الوجوه فالؤمنون بالله حقاً أقوى الخلق قلوباً وأبلغهم شجاعة وأصبرهم على السكاره وأثبتهم في المواطن الحرجة لإيمانهم الكامل بالله ورجائهم لثوابه وخوفهم من عقابه . فالإيمان هو مادة كل خير وكل صلاح وإصلاح وبه تندفع شرور الدنيا والآخرة . ثم مع ذلك الترويج والجحد للإيمان بالله يباهت فيزعم أن أهل الدين لا يمكنهم فهمه على وجهه . فعلى قوله لم يفهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ولا العلماء الربانيون ولا سائر أهل العلم من المسلمين وحيث لم يفهموه عنده يتعين عليهم رفضه والأخذ بطريقة الملحدين فأين الإيمان والإسلام الذى يدعيه هذا الرجل وزعم أنه ينفار على المسلمين وهو متصد لمخازبهم ومخاربة دينهم ، وأين العقل الذى يبقى على صاحبه ويجعله متمسكاً بين الناس فإن هذا تمهور واستهتار ومنادة على عقله بالسفه والجنون ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ) وهو مع هذا يبدى ويميد في الاستهزاء بشرائع الدين وبأهله ومحلته على وجه الوقاحة كدأب الحقى والمجانين فالؤمن بحمد الله على العافية من هذه البلية العظمى والمصيبة الكبرى ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه ولا يجعله مثله بين الخلق ، وأن لا يكون كمن آتاه الله آياته فانسخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ومن بهرجات هذا الكاتب حين قرر أن المسلمين لا يفهمون دينهم ولا يمكنهم

فهمه على حقيقته استشهد على ذلك بما قصه عن الرازي والآمدي وابن أبي الحديد ،  
وأمثالهم من الحائرين في معرفة الله وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته . فزعم هذا  
الكاتب أن المسلمين كذلك حائرون لا يهتدون إلى أصول دينهم ولم يعلم أو علم وتجاهل  
أن هؤلاء الحيارى إنما حاروا في معرفة الله حين رفضوا علوم الدين في هذا الباب وتركوا  
مادل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأن خيرتهم في هذه الحال من أدل الدلائل على كمال  
الدين وأن كل من اتقى الهدى من غيره أضله الله ، وهذه صفة لكل من كذب بالحق  
وتكذبا لا بد أن يمرج أمره كما قال تعالى : ( بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر  
مرج ) فانظر إلى هذا الرجل كيف لما كذب بالحق وترك الإيمان بالله ورفضه ودعى  
الناس إلى رفضه كيف تقلبت به الأحوال ولعبت به الأهواء ، وصار ينادى ويدعو  
إلى الإلحاد بعدما كان يدعو إلى دين رب العباد فالمسلمون والله الحمد قد ذهبوا الإيمان  
فهمنا كاملا أعظم من فهم أى قضية كانت ، فهم أعظم الناس يقينا وأثبتهم ايمانا وأصحهم  
اعتقادا لأنهم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين واستقاموا على الصراط المستقيم حيث عدل  
غيرهم عن هذا الطريق .

ومن فروع نبذ الإيمانه بالله وبما أخبر به على السنة رسله إنكار الملائكة والجن  
والأرواح وسياقه لهذا الإنكار بأساليب تهكمية وعبارات سخريه . بما أخبر الله به  
وأخبرت به رسله ونطقته الكتب واعترف به عليه الخلق وسائر أهل الأديان السماوية  
وجاءت به نصوص الكتاب والسنة في نصوص كثيرة زادت على التواتر فأقر بها  
المسلمون واعترفوا بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن وعن أحوال  
الروح في البرزخ وغيره ولم ينكر ذلك إلا جاحدا ملحد مكذب لله ورسوله ، وقد تحدق  
هذا الرجل حين نصر قول من كذب بهذه الأصول العظيمة فجمع كل ما يقدر عليه  
في كتابه من خرافات الخرافيين عن الجن والأرواح ونسب ذلك إلى المسلمين ليتوسل  
به إلى القدح في الدين ظلما منه أنه يروج على الناس ، ثم لما قرر هذا التكذيب بعبارات

كثيرة في صفحة (٢٠٠) وما بعدها شعروا أن الناس لابد أن يقولوا هذا كلام مكذب بالملائكة والجن والأرواح فقال نقافاً : ليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح والملائكة والجان وبما أخبر الله به إلى آخر ما قال . فانظر إلى هذا التناقض والبهرجة التي لا تخفى على من له أدنى عقل ، ولكن من غروره بنفسه يحسب أن الناس كالبهايم . ومن كذب بالمديرات أمراً وتهكم بما يذكر في الكتاب والسنة ويذكره أهل العلم من أنواع التدبيرات في العالم العلوي والسفلي التي تتولاها الملائكة بأمر الله لم يستغرب بعد ذلك تكذيبه بتأثير العين وتحريف النصوص الواردة فيها وتفسيرها بما لم يفسرها به مسلم بل ولا عاقل ، ومن كانت هذه الأصول عنده ترهات وخيالات لم تستغرب عليه ما نصره من سفور النساء وإيجابه لمخاطبتن الرجال الأجانب في جميع الجامع الصغار والكبار وأنه ليس للرجال عليهن درجة ولا لهم فضل عليهن وأن هذا السفور والتهتك يزعمه هو عين الصلاح ، وأنه لا يمكن إصلاحهن وثقافتهن وتعليمهن إلا بهذه الطريقة السافلة ، وأن خيار المسلمين من القرون الماضية من الصحابة والتابعين ومن تمسك بهديهم إلى اليوم من خيار المسلمين أن هؤلاء كلهم من أولهم إلى آخرهم من الحملة الممج حيث صانوا نساءهم عن التبرج والتهتك . ثم باهت في ذلك ناقلاً مستحسناً أن الشر الحاصل من النساء المصونات المحفوظات بحفظ الله ثم بحفظ أوليائهن أهل الغيرة على الدين وشرائمه أعظم من الشر الحاصل من النساء المتهتكات الزاحات للرجال في جميع ميادين الحياة . ثم نقله القبيح واستحسنه في هذا الموضوع كلام السافطين من الإباحيين الذين لا يرون شيئاً حراماً خبيثاً بل ما اشتبه الإنسان فعله ولا قبيح عندهم إلا ما لم تشتهه النفوس كما نقله في صفحة ( ١٠٣ ) وما بعدها مما لا يخفى . هذا ، ماذا ترك للفنائل الدينية والآداب الدينية والصيانة الإنسانية لقد رفضها كلها ، وهذه الطريقة التي استحسنها هي الطريقة الوحيدة للإباحية إباحتها جميع ما حرم الله من الشرك والفواحش والفكرات . إذا تقررت هذه المباحث الخبيثة والمنافية للدين من



كل وجه الدالة على انحراف عقل صاحبها عنه انحراف دينه فلا تستغرب بعد هذا زعمه وتكذيبه للأحاديث الشرعية وتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وترويجه بجمع الأحاديث الصحيحة مع آثار باطلة فيرد الجميع وتفسير النصوص بغير تفاسير المسلمين نصرة لماطله وإنما هي من جنس تحريفات القرامطة الباطنية ، ولنذكر نموذجاً يسيراً من هذا النوع ليعرف بذلك إلحاد هذا الرجل فن ذلك قوله في قوله تعالى : ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) ذكر في صفحة ( ٤٤ ) أن معناها أن الله نعى على المسلمين اليهوديين وقت نزول القرآن وبما تبهم كيف لا يبصرون ما في أنفسهم من الآيات وأن الصحابة والقرون الفضة ومن بعدهم من علماء المسلمين انطوت قلوبهم ، والعتاب موجه إليهم واللوم يقرعهم لكونهم لم يبصروا ما في أنفسهم من الاستعداد لاستخراج كنوزها ولا لاستخراج كنوز الأرض حتى جاء هذا الوقت فانطعمت عليهم هذه الآية ( وكانوا أحق بها وأهلها ) لكونهم العاملين بها حيث عمي عنها الأولون وعلموها حيث جهلها السابقون فهذه للتطبيق تحريف لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا ممن يدعى الإسلام ومعناه الجلى عند هذا أن ملاحدة الأمم أكل وأفضل وأعظم عملاً بهذه الآية من السابقين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى آخر الوقت . سبحانه لك هذا بهتان عظيم . ومن تحريفه لحديث : ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كسبه الله تعالى . قال في صفحة ( ٤٠ ) إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد وأنه لا يمتنع على قدرته شيء وأنه لا حد يقف عنده عمله وقدرته . نزه على ذلك المبحث الحديث السابق أن العبد في إمكانه مزاحمة رب العالمين بهذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله لم يقل أحد ما يشبهه إلا الملاحدة من أهل حديق الوجر ومعنى الحديث معروف والله الحمد بين المسلمين أن ذلك يدل على تسود الله وثوبيقه ومعنى الآية الخاصة لعبد القلم بحبوباته من الفرائض والنوافل . ومن ذلك

ما قاله على قوله تعالى ( ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ) في صفحة (٦١) محتجاً بها على قوله الباطل حيث زعم أن علم الإنسان محيط بمبادئ خلق هذا العالم فانه يزعم أن الآية لا تنفي العلم حيث قال ما أشهدتهم ولم يقل ما أعلمتهم وزعم أنهم كانوا عاقلين وإن لم يكونوا مشاهدين ، وهذا لم يقله أحد من المفسرين . أما تفسيرها المعروف عند المسلمين فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع ما يستحقه الله فكذبهم الله وأخبر أن جميع الخلق ليس لهم مشاركة لله بوجه من الوجوه فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وهذا نفي لطرق العلم كلها بمعنى فليس لهم سبيل إلى ذلك فانهم إذا لم يشهدوا ذلك فهم لم يعلموه وإذا لم يعلموه فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة دعوى في غاية البطلان والتقول على الله تعالى وهي نظير قوله تعالى ( وما كنت بجانب الغربي ) الآيات . ومن تحريفاته التي تتشعب منها الجلود ما ذكر في صفحة (٦١) و (٦٧) على قوله تعالى ( يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) أن المراد بذلك القرن الذي أنزل عليهم وأوائل هذه الأمة القرون المفضلة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأن منهاها أن علومهم لم تصل إلى بواطن الأشياء وإنما علمهم بسيط جداً وأنهم في ذلك الوقت في طور الطفولية بل في طور قريب من طور الحيوانات ولم يبلغوا رشدهم وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحدة هذا الزمان الذين غلبوا من علوم المادة ما لم يعلمه الأولون لأن العلوم النافعة عنده هي الفنون العصرية فقط ، وأما الأصول والعقائد وعلوم الأخلاق وتوابعها التي علم الطبيعة فرع من فروعها فإنها على قول هذا ليست من العلوم التي يؤبه لها وكفى به خذلاناً أن تصل به الحال إلى هذا والآية والله الحمد واضحة لا إشكال فيها وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة يعلمون ظاهراً الحياة الدنيا دون باطنها وأنهم في غفلة عن الآخرة فهذا السبب الذي أوجب لهم رد ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

والأفلاطون علموا ظاهرها وباطنها المقصود منها لبأدروا إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما فعله أهل العلم الحقيقي الذين بأدروا لما رأوا الآيات البينات إلى الإيمان به لكن هذا الرجل يطبق هذه الآية على خيار الخلق وأكمل القرون على الإطلاق ويسخر من العالمين بباطن الدنيا المستعدين للآخرة القاعين بعبودية الله الجامعين الدنيا وسيلة إلى الدين ، وهو يريد ويحاول في كتابه هذا أن تكون الدنيا هي المقصودة والغرض الأصلي وأما الآخرة فإن كتابه هذا كفيلاً بتزويد الناس فيها وفي عبودية الله وفي الجزاء الآخرى ؛ فأى إيمان وأى إسلام وأى عقل صحيح بقى بعد هذا ، ومن ذلك تفسيره الحديث « كل مولود يولد على الفطرة » بأن الفطرة هي الخبث والشر ، وأن الإنسان بطبعه بخلق شريعراً وأن الفطرة معناها أنه مفطور على الشر ويرفض جهاراً تفسير أئمة الهدى لهذا الحديث بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علماً وعملاً وأن الله تعالى جعل في خلقهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلاً كما قال تعالى ( فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه ) الآية ويلزم على قوله أن يستدرك على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فيقال وأيضاً لم قلت أو يمجسانه مسلماً لأن قبوله للجميع على حد سواء عند هذا ، وفي نفس الحديث والآية الكريمة حيث قال كالبهيمة الجمعاء هل تحسبون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها أى كالبهيمة التي تولد مجتمعاً الخلق كاملة الأعضاء حتى يجدعها الناس بقطع الأذان أو بعض الأعضاء كذلك الأدعى خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيرها من التربية السيئة لما اختار غير الدين الحق وعبد هذا أن الفطرة معناها الشر والهمجية وهذا مناف للآية والحديث ، ومن أعظم الجرائم على قوله تعالى في صفحة ( ٦٦ ) ( وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ) قال بعض بذلك الذين اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به من

الصحابة الذين هم خيار الخلق وأعلمهم جعلهم هذا الرجل ينظرون الظواهر ولا يبصرون  
 البواطن فهم في طور الأطفال كما تقدم التنبيه على هذا مراراً ، وهذا من جنس تفاسير  
 الزنادقة من الباطنية والاسماعيلية والقرامطة والآية الكريمة عند جميع المسلمين منها  
 ظاهر ، وأن هذا وصف للكافرين بالرسول أو وصف للأصنام فمعناها : أن الكفار  
 تراهم ينظرون إليك نظراً ظاهراً وهم لا يبصرون ما فيك من المعاني الجليلة والأوصاف  
 الجليلة والآيات التي تدل أكبر دلالة أنك رسول الله حقاً ؛ أو أن هذه الأصنام صور  
 بلا أرواح تراها كأنها تنظر إليك وهي لا تبصر لأنها مجادات . ومن ذلك حق للأرواح  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذي في مسند البزار أكثر أهل الجنة البله .  
 فرعم أنهم بذلك يمدحون البلاهة ويحثون عليها ، وجمع في هذا خرافات الخرافيين  
 ونسبها لحلة الشريعة ورجال الدين وكذب الحديث المذكور وتفسير الحديث ظاهر عند  
 المسلمين : فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أهل الجنة البله ؛ أو لا يستحق الجنة إلا البله بل  
 قال أكثر أهل الجنة البله فهم لسلامتهم من الغل والحقد والصفات التيمية صاروا مستحقين  
 للجنة ثلاثين الناس أن أمثال هؤلاء أن الله لا يرفع قدرهم ؛ مع أن في كتاب الله وحيته  
 رسوله من الثناء على أهل العقول وأولى الأبواب . والأحلام والتعوى والآراء الرزينة والحس  
 على كل أمر فيه زيادة اللب والعقل فكم في كتاب الله وسنة رسوله من ذلك من  
 النصوص ما يدل على ذلك فلا منافاة بين الأمرين ؛ فالدين يحث على الحكمة في حكايل  
 العقول ويثني غاية الثناء على أولى الأبواب ويحجر أنهم خواص الخلق ومع ذلك فكل  
 من آمن وعمل صالحاً ولو لم يصل إلى درجتهم من البله الأغمار فإنهم سعداء فإن الله  
 لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

ومن المعجائب تنزيه الحروب الحاضرة بين الأمم الأفريقية والأمريكية وتوابعهم  
 على قوله تعالى ( كتب عليكم القتال وهو كره لكم ) جعلها المراد من الآية وقد أجمع  
 المسلمون على أن المراد قتال المسلمين للكفار فهو المكتوب المفروض وهو الذي له الآثار

الطيبة ، وأما هذه الحروب التي بنيت على الجشع والظلم والقسوة وعدم الرحمة فأبغض  
 خيرا وأتارها الطيبة وقد عمت البسيطة هلاكا وفناء وتدميراً وهي لا تسكن في  
 وقت إلا الاستعداد لمجازر وشروور ينسى آخرها أولها ، فهاج من الحذف آيات الله .  
 وعن تحريفاته لحديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نساءه بفصل واحد .  
 قال في صفحة ( ١٢٠ ) ان ذلك مجرد ذوان لا ميسر معه . وهم بأنس وغيره ممن  
 يضرون ذلك بالمسئس الذي هو معنى الحديث عند جميع المسلمين حتى جاء هذا الرجل  
 فهاج عليهم وكتبهم . وهذا الوهم الكاذب منشأه أنه ميراث ممن ورثوا القدر  
 في الأنبياء بكثرة الأزواج ، فأزل الله منكراً ومكذباً لهم قوله تعالى : ( ولقد أرسلنا  
 رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ) الآية وأى قص في كثرة أزواجه وفي  
 قيامه التام بحقوقه وذلك من أجل مناقبه حيث كل الحقوق الكثيرة التي عليه  
 وحيث كان في زواجه من المنافع والمصالح للأمة ما لا يمد ولا يحصى . ومن جرأه  
 العظيمة ما ذكره في صفحة ( ١٢٨ ) وما بعدها من الصفحات من تكذيبه لجميع النصوص  
 الواردة في الزهد في الدنيا والصبر على البلاء والفقر وهي جزء كبير من أجزاء الدين  
 كذب ذلك أجمع وباهت بأمر يعرف كذبه به كل أحد ثم روج كعادته القبيحة  
 في ذكر أحاديث لا زمام لها ولا خطام حشدها في كتابه وتوصل بها إلى رد النصوص  
 الصحيحة . ورمى جميع المسلمين من أولهم إلى آخرهم بقول تلك الآثار الساقطة ،  
 وتقدمت الإشارة إلى محاسن هذا الدين وأنه يحث على جميع الوسائل والمقاصد  
 وإصلاح الدين وما يمين عليه من الدنيا بعكس ما كان يسعى إليه هذا الكاتب يحض  
 على الزهد في الآخرة بل يسخر بأهلها العاملين وبما يذكر من الجزاء الدنيوي  
 والأخروي . ومن انحرفاته الفظيعة ما نقله تفصيلاً عن التوراة ليس في التوراة بل  
 في الأمثال المنسوبة لسليمان عليه السلام في الترغيب في الدنيا ثم قابل بينه وبين ما جاء  
 في القرآن والدين الإسلامي في صفحة ( ١٧٢ ) وما بعدها وعطى القرآن والكتب

الدينية حيث علفت السعادة والفوز والفلاح في العاجلة والآجلة على العبادة والتقوى والصالح وفضل ما نسب إلى التوراة في هذا الموضوع على الكتاب والسنة تفضيلاً عظيماً بل لم يجعل لهذا الأخير فضلاً بوجه من الوجوه بل حمل على هذه النصوص وزعم أنها هي التي خدعت هم الناس وثبطتهم ومنعتهم من الرق وفيه كالتصريح بإنكار عقوبات الله للدينية والأخروية . ومن ذلك في صفحة (٢٩٦) تهكمه بحديث أنس : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » وهو في الصحيح صحيح البخاري وتهكم به وينقله وأنكره إنكاراً عظيماً والسبب في ذلك أصله الحديث حيث فضل ملاحدة الزنادقة من الأولين والآخرين على الصحابة وخير القرون ، وعرف أن هذا الحديث من الأدلة الكثيرة الدالة على كذبه وبطلان قوله . وزعم أن اعتقاد فضيلة الأولين من الصحابة والتابعين منعت الرق فهذه الدعاية لبند الدين التي يسمى لها هذا الرجل سعيًا حثيثًا ويؤصل أصولاً خبيثة يرد لأجلها الأصول الشرعية فهذا في كتابه نهج لهذه الدعاية الإلحادية دعايات كثيرة تارة بتحريفه لنصوص الكتاب والسنة وتارة بالقدح في الصحابة والتابعين وحملة الدين من خير القرون الذين لم يصل للناس هذا الدين إلا على أيديهم وقد أكثر فيه من الاستهزاء والسخرية العظيمة حتى كادت جميع مباحثه المنحرفة تكون سخرية واستهزاء وتهكما بالدين والشريعة وحملة الدين . فهنا يقف العاقل وقفة تعجب فيقول : هل ترى هذه السخريات والتهكمات الصادرة من هذا الرجل الحامل عليها الإعجاب العظيم بالنفس واحتقار غيره فإنه لا يستغرب فإن الخيالات متى استحسنت في النفوس تجسمت وصارت لها السيطرة على عقل الإنسان وعدم الإبقاء منه على مكانته بين الناس فلا يستغرب بهذا أن ذكاه وفطنته اضمحلت في ضمن هذه السيطرة حتى تلاشت فلم يكن له إحساس بما يصدر منه وأنه وصلت به الحال إلى ما يشبه الجنون وعدم الشعور فإن الذين معهم همكة من العقل المعيشي دع العقل الديني يبقون على أنفسهم وعلى مكانتهم عند الناس

وفي قلوب من يعظمهم فلا يرضى أحدهم أن تكون السخرية والاستهزاء ديدنه  
 في الأمور العادية ~~فلا~~ عن أن توجه إلى دين الله وإلى رسله وأتباعهم . ولكن يأتي  
 الله إلا أن يقض من تعرض لدينه وشرعه وأوليائه في الدنيا والآخرة . وإذا كان  
 من جملة مقالاته الشيعة الفاضحة ما صرح به في صفحة ( ٣١٧ ) بقوله الصريح :  
 ( إن المتدينين على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأقباؤهم وأمرجتهم وأجناسهم عجزوا أن  
 ينهوا الحياة شيئاً جديداً وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة ) ، فهل بعد هذا التصريح  
 بقبح الدنيا والآخرة كلها والكفر بجميع الأنبياء وتحقيرهم وتفضيل غيرهم عليهم شيء وهل  
 وراء هذا التقديم ~~في~~ الكفر غاية ونهاية ، ولم له في كتابه هذا من هذا النوع شيء كثير .  
 ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .  
 ( واعلم ) أن عباراته في هذه المواضع التي نهينا عليها كثيرة مكررة بعبارات متنوعة  
 لم ننقلها خوف طول الكلام لتغير فائدة ولكننا أتينا بمقتضاها . وأرشدنا لمن يحب  
 الوقوف عليها إلى ~~مكتبتها~~ من كتابه الأغلال المطبوع . وكذلك في رسالتنا هذه  
 لم نذكر من ذكر الآيات والأحاديث الواردة لقوله . لأن الكتاب والسنة كلها رد  
 لقوله لأنه في جميع أصول الكتاب والسنة وأزاد قلعهما من أساسها ولأن المقام يقتضي  
 ذلك . فإن المناظرة مع من يعظم الكتاب والسنة نوع ومع من لا يراها نوع آخر .  
 ومحمد الله على ما نبهت عليه في كتابه من الفطائع والشنايع التي لا يقولها إلا من انتهى  
 إلى كونه وكفره لم نستعمل معه في خطابه الخاص إلا الرفق واللين اتباعاً للكتاب والسنة  
 في خطاب المحاربين النحرفين أن يقال قال فلان وفعل فلان . وأما عند ذكر الأقوال  
 الشيعة فيذكر ما احتوت عليه من الضرر ~~والنفاق~~ للأديان ومرتبها في البعد من  
 الدين وبيان ما على قائلها من الضلال والنقص فيكون القدح فيه موجه عليه من أقواله  
~~التي~~ ما على صاحبها من نقص الدين والعقل والرأي وليس لنا غرض في شخصية  
 هذا الرجل ولكن لما اعتدى على ديننا الإسلامي وعلى قواعده وأصوله وأساسه ونهجه

به وبمحملته وفضل عليهم زادقة الملحدين وصنع مع المسلمين أعظم من صنيع دعاة  
التنصاري من المبشرين وجب على كل مسلم مدافعته ودفع شره وقبح أمره والتحذير  
من طريقته ودعايته بحسب القدرة وإلا فوالله أننا لنأسف أشد الأسف على انقلاب  
هذا الرجل ونعد ذلك من الخسائر علينا حيث فقدنا هذا الرجل الذي مضى له من  
المقامات ونصر الحق ما لا ينكر، بل لنا أن نقرأ قول الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ  
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَأْمٍ ) ونسأل الله أن يهدينا  
إلى الحق وأن يعيده إلى الإسلام بالتوبة والتصل مما وقع منه وأن يكتب كتاباً في  
رجوعه عن هذه المباحث الخبيثة ، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ، وأن لا يزيغ  
قلوبنا بعد إذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب وصلى الله على محمد وعلى  
آله وصحبه وسلم .

قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله عبد الرحمن بن ناصر بن محمد بن عبد الله بن  
حرر في ٣ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٦ وتقلده من خط الشيخ عبد الرحمن بن سعدى .  
أنا الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن محمد العوهلي وحرر في ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦  
بلغ مقابلة علي يد شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن سعدى في ١٣ من جمادى الأولى  
سنة ١٣٦٦ .